



مطلع النور

١

طولع البعث المحمدية

تأليف

عباس محمود العقاد

دار نهضة مصر للطبع والنشر
البحالة - القاهرة



مَطْلَعُ الْيُورُ

أَوْ

طَوَالِعُ الْبَيْعَةِ الْحَكْمِيَّةِ

تَأْلِيفُ

عَبَّاسِ مُحَمَّدٍ الْعَتَاوِ

دار نهضة مصر للطبع والنشر
الجميلة - القاهرة

مقدمة المقدمات

مطلع النور عنوان هذه الصفحات

ومدار البحث فيها على البعثة النبوية - بعثة محمد عليه السلام - وما
تقدمها من أحوال العالم ، وأحوال جزيرة العرب ، وأحوال الأسرة
الهاشمية ، وأحوال أبيه الشريفين

ويدور البحث فيها على نوعين من المقدمات :

مقدمات تمهد لنتائجها وتقضى إليها .

ومقدمات تأتي النتائج بعدها كأنها رد فعل لها . وعلاج لأسبابها
وعواقبها .

مقدمات من قبيل الداء يأتي بعده الموت . فهو نتيجته وعقابه على
الشرعة المعهودة في طبائع الأشياء .

ومقدمات من قبيل يأتي بعده الدواء . فليس هو بنتيجة له إلا على
معنى واحد . وهو لحاق الدواء بالداء . وظهور الشفاء بعد الحاجة إليه .

مقدمات تتحقق بها قوانين الطبيعة

ومقدمات تتحقق بها عناية الله

ولاسيما حين تأتي الحاجة إلى الشفاء من غير المريض ، بل تأتي على
الرغم منه وعلى خلاف ما يرجوه ويستغيه

كيف نشأ التوحيد بعد التباس الوجدانية بالشرك واختلاط الأديان
بين الآلهة والأوثان ؟

كيف نشأت ديانة الإنسانية بعد دبابات العصبية والأثرة القومية ؟

كيف نشأت نبوة الهداية بعد نبوة الوقاية والقيادة ؟

كيف أصبحت المعجزة تابعة للإيمان بعد أن كان الإيمان تابعا
للمعجزة ؟

كيف ظهر الإسلام بعد عبادات لا تمهد له ولا يبني عليها مقدمات لم
تكن واحدة منها ممهدة لنتائجها ، وإن مهدت لها خطوة في الطريق فقد
تنكص بها بعد ذلك خطوات وخطوات

وهذه هي المقدمة التي لا تأتي بعدها النتائج الصالحة إلا بعناية من
الله واتجاه بقوانين الكون وعوامله إلى حيث يشاء

فليست الجاهلية مقدمة للإسلام

وليس الفساد في العالم سبباً للصالح

ولست قريش ولا جزيرة العرب ولا دولة القياصرة ولا أبهة
الأكاسرة هي التي بعثت محمداً لينكر العصبية على قريش ، ويعلم العرب
تسفيه التراث الموروث من الآباء والأجداد ، ويثل العروش التي قام
عليها الطغاة وتآله عليها الجبابرة من دون الله

هؤلاء جميعاً كانوا صحبة البعثة المحمدية

وهؤلاء جميعاً كانوا مريضها الذي شفى على يديها بغير شعور منه
بمرض وبغير معنى إلى الشفاء

وتلك هي المقدمات ونتائجها كما تتجه بها عناية الله

رسول يوحى إليه فيصنع الأعاجيب

ذلك ما يقوله المؤمنون بعناية الله

فإذا استطاع المنكرون أن يقولوا غير ذلك فليقولوه وليفسروه . فلا
تفسير له عندهم إلا أن الفساد يصلح الفساد ، وأن الداء يشي الداء .
وأن الأسباب تمضي في طريقها فتختلف بها الطريق وتذهب إلى حيث لا
يفضى الذهاب

جاء محمد بدين الإنسانية في أمة العصبية

جاء ينكر كل اله غير الواحد الأحد في عالم يؤمن بكل اله غير
الواحد الأحد ، أو يؤمن به كأنه صنم من الأصنام يتعدد في كل بيعة
وكل مقام

أحمد وحده يقدر على ذلك ؟

أحمد يقدر عليه بعناية من الله ؟

أدنى القولين إلى عقل العاقل أدناهما إلى الإيمان ، وأناهما عن
الصواب أناهما عن الله

ولولا تدبير من الله لما ادخرت جزيرة العرب لهذه الرسالة لتخرج
بالتاريخ الإنساني كله إلى عالم جديد

• • •

وسنرى فيما يلي من هذه الصفحات كيف تتناقض النتائج والمقدمات
فلا تستقيم إلا بمقدمة واحدة ، وهي رسالة النبوة وعناية الله

وستبدأ بالمقدمات من طوابع الغيب في تأويل المتأولين إلى وقائع
الحس والعيان في أحوال العالم ، وأحوال الجزيرة ، وأحوال الأسرة ،
وأحوال البيت الذي طلع منه نور النبوة ، وبرز منه فجر التاريخ
الجديد في كل ما حوله ، وتحققت به عناية الله

ونرجو في نهاية المطاف أن نبلغ بها نتيجته النتائج كما تتفق عليها نظرة
الفكرة وبديهة الإيمان
وعلى بركة الله

الطوالع والنبوءات

على بركة الله نمضي في سرد المقدمات التي سبقت البعثة المحمدية
بنوعها :

مقدمات ترتبط بما تلاها من الحوادث ارتباط الأسباب بالمسيبات
ومقدمات لا ترتبط بما تلاها هذا الارتباط ، بل لعلها تناقضها
وتؤدي إلى خلافها ، وأنما ترتبط بها ارتباط الداء بدوائه والعلّة بما
يزيلها ، فليست النتائج هنا وليدة المقدمات ، بل هي العلاج الذي
يزيلها والآية التي تحول الأسباب الطبيعية إلى طريق الحكمة الأبدية التي
تنكشف أوائلها من خواتيمها ، خلافا للعرف الشائع من دلالة الأوائل
على الخواتيم

ورائدنا في متابعة هذه المقدمات بنوعها أن ننظر في الآيات الكونية
والمعاني التاريخية ، لأنها ولا شك عنوان إرادة الله المتصرف في الكون
كله ، ولأنها - على هذا - مفتوحة الصفحات لكل ناظر ومتأمل يعمل
بفريضة الإسلام الكبرى وهي التفكير في ملك الله والنظر بالعقل في
حقائق السماوات والأرضين

رائدنا في البحث عن مقدمات الدعوة النبوية أن إرادة الله ظاهرة في
ملكه وآيات خلقه ، وإن الناس مطالبون بالنظر في هذه الإرادة قبل
النظر في المعجزات والخوارق التي لا تأتي في كل حين ولا تخص المؤمنين
دون سائر المصدقين بالחס والعيان

وسؤالنا عن كل معجزة لا يدور على إمكانها أو استحالتها ، فليست المعجزات بالقياس إلى قدرة الله خالق الكون إلا كالمألوفات التي تجري بها العادات في كل يوم ، فإذا كانت الموجودات مخلوقة بخصائصها فالذي خلقها وخلق خصائصها يملك تغييرها وتبديلها ويأتي بالمعجزات كما يأتي بالمنظور والمطرود من النواميس والعادات ، وعقيدتنا في ذلك عقيدة الإمام الغزالي رضي الله عنه حيث قال غير مرة إن الحوادث تجري عند حصول الأسباب ولا تجري بحصول تلك الأسباب ، فليست خصائص المادة من فعلها ولا إرادتها ولكن المادة وخصائصها جميعا من فعل الحكمة الإلهية التي تسخر كل شيء بمقدار

فنحن لا نسأل : هل المعجزة ممكنة أو غير ممكنة ، فإن العقل الذي يقول إن المادة لا توجد إلا هكذا أضيق من العقول التي تصدق كل شيء بغير بحث ولا برهان

ولكننا نسأل : هل المعجزة لازمة أو غير لازمة ؟ هل كان لها أثر مشهود في الإقناع بالدعوة كما ينبغي لكل معجزة ، أو كانت في تاريخ الدعوة عملا بغير أثر ولغير ضرورة ؟

ذلك أن الله جل وعلا يضع قوانين الطبيعة لحكمة ويخرقها لحكمة ، ونعالى الله عن العبث في غير معنى . فلا يكون خرق القوانين وخلق المعجزات لغير قصد يعلمه شهود المعجزة التي تخالف مألوفهم ويجري العادات أمامهم كل يوم

وقد أشرنا إلى ذلك في كتابنا عن عبقرية محمد حين قلنا إن « علامات الرسالة الصادقة هي عقيدة تحتاج إليها الأمة ، وهي أسباب

تتمهد لظهورها ، وهي رحل بصطع نامتها في أواها ، فإذا تجمعت
هذه العلامات فدا يبحثن إلى علامة ؟ وإذا تعدر عليها أن تجمع فأن
علامة غيرها نوب عنها أو نعوض ما نقص منها ؟ وقد حبس محمد بن
عبد الله بكون رسولاً مبشر بدين ، وإلا فلا شيء خلق ؟ ولأى
عمل من أعمال الحياة ترشحه كل هاتيك المقدمات والتوقيفات ، وكل
هاتيك المناقب والصفات ؟ لو اشتعل بالتحارة طول حياته كما اشتعل بها
فترة من الزمن لكان تاحراً أمياً ، حراً موثقاً به في سوق لتجار
والشراة ، ولكن التحارة كانت شغل بعض صغاه ثم بطل صفته العليا
معطلة لا حاجة إليها في هذا لعمل مهمل يتسع له الخيال ، ولو اشتعل رعباً
بين قومه لصبح للرعاية ولكن الرعاية لا تستوفي كل ما فيه من قدرة
واستعداد ، فالذي أعده له زمانه وأعدته له فطرته هو الرسالة العالمية دون
سواها ، وما من أحد قد أعد في هذا الدنيا لرسالة دسة إن لم يكن محمد
قد أعد لها أكمل إعداد

وقدما عن شائر الرسالة الحميدية إن المؤرخين « يجهدون أقلامهم غاية
الجهد في ستقصاء شائر الرسالة الحميدية يسردون ما أكدوه البروة بها
وما لم يؤكدوه وما قبله الثقافات منها وما لم يقنوه ، وما أبدته الحوادث أو
ناقضته ، وما وافقته العلوم الحديثة أو عارضته ، ويتفرقون في الرأى
والهوى بين تفسير الإيمان وتفسير العيان وتفسير المعرفة وتفسير الجهالة ،
فهل يستطيعون أن يختصوا خطة واحدة في آثار تلك الشائر التي مسقت
لميلاد أو صاحبت الميلاد حين ظهرت الدعوة واستفاض أمر الإسلام »

« لا موضع هنا للاختلاف .

« فما من بشارة قط من تلك الشائركا لها أثر في إقناع أحد بالرسالة يوم صدع لني بالرسالة . أو كان ثبوت الإسلام متوفها عليها . لأب الدين شهدوا العلامة الموعومة يوم الميلاد لم يعرفوا يرشد معزها ومؤد ها ولا عرفوا أنها علامة على شيء أو على رسالة ستأتي بعد أربعين سنة . ولأن الدين سمعوا بالدعوة وأصاحوا إلى لرسالة بعد الشائركا أربعين سنة لم يشهدوا بشارة واحدة منها ولم يحتاجوا إلى شهودها ليؤمنوا بصدق ما سمعوه واحتاجوا إليه وقد ولد مع النبي عليه السلام أطفال كثيرون في مشارق الأرض ومعارها فإذا جار للمصدق أن يسبها إلى مولده جبر للمكابر أن يسبها إلى مولد غيره ولم تفصل الحوادث ما بين المصدقين والمكابر إلا بعد عشرت لسين . يوم تأتي الدعوة بالآيات والبراهين عيبة عن شهادة الشاهدين وإبكار المكبرين أما العلامة التي لا الناس فيها ولا سبيل إلى إبكارها فهي علامة الكون أو علامة التاريخ قالت حوادث لكون لقد كانت الدنيا في حاجة إلى رسالة . وقالت حقائق التاريخ لقد كان محمد هو صاحب تلك الرسالة . ولا كلمة لقائل بعد
علامة الكون وعلامة التاريخ . . .

» « «

على هذا المبحث البسيط نعرف أخبار الخوارق والمآلوفات في تاريخ الدعوات لسوية . ويسمى أن يقرر في هذا لقاء لاله مقامه لدى بذكر فيه - أن المؤرخ المسلم الذي يكتب بالآيات الكونية إنما يختار الطريق لأنه طريق واصح المعالم امامه وامام الساطرين الذين يعملون بهداية الإسلام في تدبير الآيات والحدث عن حقائق الموحودات . ولكنه لو شاء لوحد لديه دحية من الطوائع ولسوءات التي يعتمد أتناع الأديان

المختلفة على أمثاها ، وقد عز عنهم أن يحدوا أمثاها في المصادر التي يؤمسون بها ولا يشكون ، فلا يعتمد المؤرخ المسلم على الآيات الكونية لقلة انطواع والسوءات التي ينوب إليها - نوا - كما ينوب غيره . وإنما يعتمد توثيقا لليسة وإيثارا لأفصل احسنين في مقام المقابلة بين المتشبهات

ومن احسن أن تأتي على أمثلة من اطواع والبهوات التي وحد فيها بعض المؤرخين المسلمين شواهد على ظهور النبي عليه اسلام مكتونة قل أو ان ظهوره بعشرات نقروب وملاحظ أن هؤلاء المؤرخين ، وأكثرتهم . من فصلاء الهند وفارس والأثم السرقية التي تتكلم غير لعربية . وسر ذلك أنهم ورثوا في بلادهم ضلع الديارات لسابقة ولم يشاءوا أن تكون هذه الطولع مرانا خاصة تنعرد بها تلك الديارات ويعجزون هم عن الإتيان سطورها التي تقابلها في كفة لديانة الإسلامية فهم يتوحدون إرام الحجة بالدليل المائل ولا يعيهم فعلا أن يحدوا ذلك الدليل مسويا أوراجحاً في الدلالة على أدلة المتقدمين من أبناء الملل العارفين ونحن نورد هنا بعض الأمثلة التي يستدعيها المقام ولا خور إهمالها في تمهيد يحيط بجميع الشواهد والمقدمات ولو على سسل الإجمال

من هذه الكتب كتاب نالمة الإبحيرية أنه « مولانا عبد حق ديارقي » وسماه محمد في الأسفار الدينية العالمية « واستفاد من مقارباته ومناقضاته معرفته لفارسية واهدية واعبرية والعربية وبعض اللغات الأوربية ، ولم يقع فيه نكت التوراة والإصحيل بل عمم البحث في كتب فارس واهد وبابل القديمة وكانت له في بعض أقواله توفقت نصارع

أقوى ما ورد من نظائرها في شواهد متديين كافة ، ولا يذكر أنها اطلعا
على شاهد أقوى منها في روايات الأقدمين أو لمحدثين من أنواع الديانات
الأولى أو الديانات الكتابية

ويقول الأستاذ عبد الحق إن اسم الرسول العربي « أحمد » مكتوب
بلفظه العربي في السامفيدا (Sama Veda) من كتب البراهمة . وقد
ورد في بقرة سادسة والبقرة ثامنة من الجزء ثلثي وبصها أن « أحمد
نقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بحكمة وقد قست منه أسوار كها يقس
من الشمس »

ولا يجي لمؤرخ وحده لأعراض التي قد تأتي من جانب مفسرين
لبرهيين . بل ينقل عن أحدهم (سيبا أشاريا) Syna Acharya أنه
وقف عند كلمة « أحمد » فتمسها معنى هديا وركب منها ثلاثة مقاطع
وهي « أ هم » و « آت » و « هي » وحاول أن يجعلها تعيد « أنني
وحدثت بحكمة من أبي » قال الأستاذ عبد الحق ما فحواه أن
العبارة مسبوقة إلى البرهمي « بانزا كاها » Kanva من أسرة كانها ،
ولا يصدق عليه لقول بأنه هو وحده نقي الحكمة من أبيه

ويريد الأستاذ عبد الحق على ذلك أن وصف الكعبة لمعظمة
ثابت في كتاب الآثار فاقد Atharva Veda حيث يسميها الكتاب
بيت الملائكة ويذكر من أوصافه أنه ذو جوانب ثمانية وذو أبواب تسعة
والمؤلف يفسر لأبواب لتسعة بالأبواب المؤدية إلى الكعبة وهي باب
« أ هم » باب الودع وباب لصفا وباب على وباب عباس وباب النبي

وباب السلام وباب الزيارة وباب حرم . ويسرد أسماء الخوارج اثمانية
حيث ملتقى الجبال وهي في قوله جبل خلج وجبل قيقعان وجبل همدى
وجبل بلخ وجبل كدا وجبل أبى حديد وجبل بن قيسر وجبل عمر
ويصرب المؤلف صفحا عن تفسير البرهمنين معنى البيت هذا به جسم
الإنسان ومناجده ولا تذكره لأنه على ما نصح نحاف القداسة الروحية في
البرهنية . ولا يأتي بتفسير للجواب الثانية عند تفسيره للأبواب بذلك
المعنى

وفي مواضع كثيرة من الكتب البرهنية يرى المؤلف أن النبي محمد
مذكور بوصفه نبي على محمد الكثير وسمعة المحدث ومن أسمائه
بوصفة اسم سثرفا Sushraba . ورد في كتبه الأثرى عند Atharva
Veda حيث يشار إلى حرب أهل مكة وحربهم عشرين وأنت
تعا مع تسعة وتسعين . وهم على تقدير المؤلف عدد أهل مكة ورعا
بمائل الكفار ووكلائهم صعد كى كى يوم فانتوا يسمى صلوات الله
عليه

وللمؤلف صبر طويل على توفيق هذه العلامات وأشباهاها يستخرج
مها الطبع بعد الطالع ونبوءة إلى جانب النبوءة مما يعنى المثل عليه عن
استقصاء جميع موافقاته وعلاماته

وكذلك صرح بكتب رد دشت لى اشهرت باسم الكتب المحوسية
فاستخرج من كتاب ريدافست Zend Avesta نبوءة عن الرسول بوصف بأنه
رحمة معصين «سوشيات» Soeshyant . ويتصدى له عدو يسمى
بافارسية القديمة أناب Angra Mainyu . ويدعو إلى إله واحد له

يكن له كهؤا أحد (هيع خير ناومار) وليس له أول ولا آخر ولا ضريع
ولا قريع ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا صاحبة ولا ولد ولا ابن ولا
مسكن ولا جسد ولا شكل ولا لون ولا رائحة

« حر آخار وانحام اسار ودشمن وماسد وبار وبدر ومادرورن وهرزبد
وحاي موى وتن آسا وتنانى ورنك وبوى است »

وهذه هى حمىة الصفات الى يوصف بها الله سبحانه فى الإسلام
أحد صمد ليس كمثله شىء لم يلد ولم يولد ولم يكن له كهؤا أحد ولم
يتخذ صاحبة ولا ولداً

ويشتمع ذلك بمقتضات كثيرة من كتب الردشنية تسمى عن دعوه
حق التى يحىء بها النبى لوعود وفيها إشارة إلى سادية العربية ، وبترحم
بلدة منها إلى اللغة الإبحيرية معناها يعبر تصرف « أن أمة زردشت حى
يشنوب ديبهم يتصعضعون ويهض رجل فى بلاد العرب يهزم أتااع
درس ويحصع الفرس المتكبرين ، وبعد عمادة الدارى هياكلهم بولون
وحوهم نحو كعة إبراهيم التى تضررت من الأصنام ، ويومئذ يصحون
وهم أتااع للنبى رحمة للعالمين وسادة لمارس ومدبان وطوس وبخ .
وهى الأماكن المقدسة للردشتين ومن حاورهم . وأن سيم مكنن
فصيحا يتحدث بالعجزات » (١)

وقد أشار المؤلف بعد البيانات الآسوية الكبرى إلى فقرات من كتب
العهد القديم والعهد الجديد فقد إن لى عنه السلام هو المقصود بـ

جاء في الإصحاح الثالث وثلاثين من سفر نشية « جاء الرب من
مساء وشرقهم من سمير وتلألأ من جبل فاران وفي من ديوات مقدس
ومن يمينه نار شريعة هم »

وجاء بالنص العبري كما يلي :

« ويومر هووه ميانى به وزارح مسير لامو هو فيج مهر باران وانا
مريوث قودتش ميميفو ايش داث لامو » .

وترجمه هكذا : « وقال ان الرب جاء من سيناء وهض من سمير
هم وسطع من جبل فاران جاء مع عشرة آلاف فديس . وخرج من
يمينه نار شريعة لهم »

وقال ان الشواهد القديمة جميعاً تسمى عن وجود فاران في مكة .
وقد قال المؤرخ جبروم واللاهوتى يوسبيوس Eusebius « ان فاران بلد
عند بلاد العرب على مسيرة ثلاثة ايام الى الشرق من اية »

ونقل عن ترجمة لتوراة السامرية التي صدرت في سنة ١٨٥١ ان
سماعيل « سكن بركة فاران بالحجار وحدث له امة امرأة من ارض
مصر » . ثم قال ان سفر العدد من العهد القديم يفرق بين سيناء وفاران إذ
جاء فيه ان بنى اسرائيل ارتحلوا « من بركة سيناء » فحدث لسحابة في
بركة فاران « ولم يسكن ابناء اسماعيل قط في عرب سيناء فيقال ان
جبل فاران واقع الى غربها وفي لأصحاح الثالث من كتاب حقوق ان
« الله جاء من بستان والقدوس من جبل فاران » فهو اذن بن الحبوب
حيث تقع بستان موضعها الذي تقع فيه اليمن مرادفها بالعربية « لم يحدث

قط أن بيا سار بقيادته عشرة آلاف قديس غير النبي محمد عليه السلام .
 وقوديش تترجم بقديس في رأى المؤلف الذى يناقش ترجمتها
 بالملائكة في الترجمات لأحيرة كذلك لم يحدث قط أن بيا غيره جاء
 بشريعة بعد موسى الكليم . فهو موسى الكليم « إن بيا مثلى سيهم لكم
 الرب إلهكم من إخوانكم أبناء إبراهيم » يصدق على بيا من أبناء إبراهيم
 تقدمه في الزمن . ويرجح المؤلف أن مدينة الى تعلم فيها موسى عليه
 السلام في صحبة يثرون أى شعيب - لم تكن هى مديان الأولى التى
 تحرت ماربرال كما جاء في القرآن الكريم . ولكنها كانت « مدينة »
 لحجار لى سميت يثرب على سم يثرون ، ولما يعز ذلك أن ظليموس
 الحمراني يقول بوجود موضوعين باسم مديان وإب كان قد نخط على رأى
 المؤلف في تعيين الموضوعين . وقد جاء في سفر التكوين أن مديان بن
 إبراهيم ابنى سميت مديان لأولى باسمه كان له أخ اسمه عفار . وهو ابنى
 يقول بوبل Knobel شارح التوراة أن بريته كانت تنزل في عهد سبعة
 الإسلاميه بن حوار يثرب . وعمل موسى تلقى اسمه في ذلك الحوار . إذ
 كانت تسميته العربية أرحح من تسميه المصرية أو العبرية . فإن سنة
 هرعوب لا تسميه بالعبرية ولا يسميه بها من يريد خلاصه من مصر
 المولودين العبريين ، وصحح أن كلمة ميسو Mesu بالمصرية معناه
 الطعن كما يقول بعض اشراف المحدثين . ولكن اليهود لا يرضون بسمهم
 ومخرجهم من أرض مصر اسما مستعرا من المصريين

ومن الجامعات التي عُنيت عناية خاصة بهذه المسوآت جماعة
الأحمدية الهندية التي ترجمت القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية . فإيها
أفردت لمسوآت والطوابع عن ظهور محمد عليه السلام بحثا مسها في
مقدمة الترجمة شرحت فيه بعض ما تقدم شرحا مستفيض ورادت عليه
نبوءة موسى الكليم تشتمل على ثلاثة أحرء : وهي التجلى من سياء وقد
حصل في زمانه والتجلى من سغير أو حبل الشعر وقد تجلى في زمن لسيد
المسح . لأن هذا الحبل على قول الجماعة الأحمدية واقع حيث
يقم أبناء يعقوب الدين اشتهروا بعد ذلك بأبناء أشعر وأما التجلى
الثالث من أرض فارب وهي أرض التلال التي بين المدينة ومكة . وقد
حاء في كتاب فصل الخطاب أن الأبطال يحبون الحجاج في تلك الأرض
بالرياحين من « برة فاراب » وقد أصبح أبناء إسماعيل أمة كبيرة كما
حاء في وعد إبراهيم فلا يسعهم شريط من الأرض على تحوم كعاد .
ولا وجه لإبكار مقامهم حيث أقام العرب المنتسبون إلى إسماعيل ولا
باعث لهم على انتقال هذا السب ولرحوع به إلى حارة معروده من
بيت سيدها وقد حاء في التوراة أسماء ذرية إسماعيل الذين عاشوا في
بلاد العرب . وأوهم سايبوت أو سات أنو قائل قرش . الذي يقرر
الشارح كاتريكارى Katripikari إنه أقام بدريته بين فلسطين وبيع ميناء
ثرب . ويقرر بطيموس ويلبي أن أبناء مدور بيدار الابن الثاني
لإسماعيل قد سكنوا الحجار . ويصيف المؤرخ اليهودى يوسفوس
إليهم أبناء أدبيل لاس الثالث في ترتيب العهد القديم . ولا حاجة إلى
البحث الطويل عن مقام أبناء دومة وتيماء وقدامة وأكثر إخوانهم اساقين
فإن الأماكن التي نسب إليهم لا تزال معروفة بأسمائها إلى الآن . ومن

سوءة أشعيا التي سقت مريد السيد المسيح بسعمائة سنة يظهر حيا أن ماء
إسماعيل كانوا يقيمون بالحجر . هي هذه سوءة يقول النبي أشعيا من
الأصحاح الحادى والعشرين « وحي من جهة بلاد العرب تبين
يا قواهل الددايين هاتوا ماء لللاقة العطشان يا سكان أرض تيماء
واهو اثار حبره فيهم من ماء لسيوف قد هربو من امام سيف
لمسول ومن ماء القوس لمشودوه ومن امام شدة حرب فانه هكذا
قال لى السيد فى مدة سنة كسنة الأخير بقى كل محد قيذار »

ويعود لمصر من الجماعة الأحمدية فيفسرور هزيمة قيذار
هزيمة لمكيب في وقعة بدر . وهي الهزيمة التي حثهم بعد هجرة النبي
الى المدينة بحواسة كسنة الأخير

ويقرون هذه السوءة بنبوة أخرى من الأصحاح الخامس في سر
أشعيا يقول فيها « ويرفع راية للأثم من بعيد ويصفرهم من أقصى
الأرض فإدا هم بالعجلة يأتون . ليس فيهم راح ولا عاثر . ولا
يعسول ولا يمامون ولا تنحل حرم أحقائهم ولا تنقطع سيور خديتهم
سهمهم مسوية وجميع فيهم ممدودة حوافر جيدهم كأنها الصول
ومكراتهم كالزوجة . . »

وهذه سوءة عن رسول يأتي من غير أرض فلسطين لم تصدق على
أحد غير رسول الإسلام

وتلحق هذه السوءة بسوءة أخرى من الإصحاح الثامن في سر أشعيا
جاء فيها أن الرب نذره ألا يسلك في طريق هذا الشعب قائلا
« لا تقربوا فتة لكل ما يقول له هذا الشعب فتة ولا تحفوا خوف

ولا تزهوا . قدسوا رب الجنود فهو خوفكم وهو رهنكم ، ويكون مقدسا وحجر صدمة وصخرة عثرة لىنى إسرائيل وفحا وشركا لسكان أورشليم فيعثر بها كثيرون ويسقطون فينكسرون ويلقون فيلقطون . صر الشهادة أحتم اشريعة تلامبذى . و صطر للرب السائر وجهه عن بيت يعقوب وانتظره ۝

فهذه البوءة عن رسول الله ادى بنخم الشريعة تصديق على نبى الإسلام ولا تصديق على رسول جاء قبله ولا بعده .

وتلحق هذه البوءة أيضا بوءة من الأصحاح التاسع عشر في سفر شعب يذكر فيها إيمان مصر بالرسول المنتظر ۝ وفي ذلك اليوم يكون مدح الرب في وسط أرض مصر وعمود الرب عند تخمها . يكون علامة وشهادة رب الجنود في أرض مصر لأهم يصرحون للرب . بسبب مصابيقين فيرسل لهم مخلصا ومحميا وبقدمهم يعرف الرب في مصر ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم فقدمون ذسحة وتقدمة ويندرون للرب ويعرفون به ويصرب الرب مصر صربا مشافيا فيرجعون إلى الرب فيستحيب لهم ويشعبهم في ذلك اليوم تكون سكة مصر إلى أشور فيحيى الأشوريون إلى مصر والمصريون إلى أشور ويعد المصريون مع لأشوريين في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثالثا لمصر ولأشور بركة في الأرض . بها يبارك رب الجنود قائلا : مبارك شعبى مصر وعمل يدي أشور وميدانى إسرائيل ۝

وإدى حدث عن قدوم أهل العراق إلى مصر وذهاب أهل مصر إلى العراق إنما حدث في ظل الدعوة الإسلامية وم تتوحد لعبادة يسهم قبل

تلك الدعوة ، وأن النبوءة ستتم علنا على غير ما يهواه بنو إسرائيل . إذ
تكون البركة لمصر وأشور ولا تكون إسرائيل إلا لاحقة لكلتا الأممين

° ° °

ثم ينتقلون بالسوءات إلى سر دانيال حيث جاء في الأصحاح
الثاني « أنت أيها الملك كنت تستظر ويد بتمثال عظيم هذا التمثال
العظيم الهى جدا وقف قبالتك ومبصره هائل رأس هذا التمثال من
ذهب جيد . وصدره وذراعاؤه من فضة ، وبطنه وفخذيه من نحاس .
وساقاه من حديد ، وقدماه بعضهما من حديد والعرض من حفر ككت
تنتظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فصرع التمثال على قدميه لئلا من
الحديد وحرف سحقها فاسحق حيث الحديد والحرف والفضة
والنحاس والفضة والذهب معا وصارت كعصافاة سيد في الصيف
فحملها الريح فم يوحد لها مكان . ثم الحجر الذي صرع التمثال فصار
حبيلا كبيرا وملا الأرض كلها »

وبلى ذلك تفسير النبي دانيال هذا الحلم إذ يقول « أنت أيها الملك
ملك ملوك لأن إله السموات أعطاك مملكة واقتدرا وسطانا وفجرا ،
وحينما يسكن بنو الشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها إليك وسقطها
عليك جميعها . فأنت هذا الرأس من ذهب وبعذك تقوم مملكة أخرى
أضعف منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتسلط على كل الأرض
وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد تدق ويسحق كل شيء ، وكل الحديد
الذي يكسر سحقا ويكسر كل هؤلاء ونما رأيت القدمين والأصابع
بعضها من حفر والنحس من حديد فالمملكة تكون مقسمة وتكون فيها

قوة كالحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطاً بحرف لطيف وصانع القدمين بعضها من حديد وبعضها من حرف فعض للملكة يكون قوي والعص قصياً ، وما رأيت الحديد مختلطاً بحرف لطيف فإنهم يختلطون بسبل اساس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يلتصق بالحرف . وفي أيام هؤلاء الملوك يقم له السموات ممدكة لن تقرض أبداً ومكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتتمى كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد . لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا يبدى . فسحق الحديد والنحاس والحرف والعص والذهب الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتى بعد هذا الحلم حق وتعبيره يهين :

وتعود الجمعة لأحمدية إلى التاريخ لتستمد منه لتعليق على تعبير نبي ديان لثنت الرؤيا ، من كلام نبي ديان بهم أن لرأس الدهى هو بيت بابل . وأن الصدر والذراعين من القصعة تعبر عن مملكة فارس وميدية التي ارتفعت بعد دولة بابل ، وأن الرحين من النحاس تعبر عن الدولة الإغريقية وطل الإسكندر لقيامها بعد رول حكم الفارسيين والميديين ، وأن القدمين من الحديد تعبران عن الدولة الرومانية التي ارتفعت بعد دهر ملك الإسكندر . وتقول لرؤيا عن هذه الدولة الأخيرة أن قدما من قدميها حرف والأخرى حديد ، وهو وصف يشير إلى جزء من الدولة في القارة لأوربية وجزء منها في القارة الآسيوية ، فالقدم حديد هي سيطره الأمة الواحدة والعقيدة الواحدة وهذه السيطرة تستل على أقطار شاسعة وموارد غيرة ولكن تطوى على الضعف الكامن من جراء التفكك بين أوصال الشعوب ، والرؤيا صريحة في وشك انحلال الدولة الرومانية في السوات الأخيرة لهذا النسب .

وتستطرد من ثم إلى أمور أهم وأخطر إذ تقول « إنك كنت تنظر إلى أن قطع الحجر بغير يدين فصرف اثنتان على فدميه اللتين من حديد وحرف فسحقها فانسحق حينئذ الحديد والحرف والنحاس والفضة والذهب معا وصارت كعصافه البيدر في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان . أما الحجر الذي ضرب التثان فصار جبلا كبيرا وملا الأرض كلها . . »

تقول الجماعة « فهذه نبوة بظهور الإسلام فقد اصطدم الإسلام في صدر الدعوة بدولة الرومان ثم بدولة فارس ، وكانت دولة الرومان يومئذ قد بسطت سلطانها على ملك الإغريق الإسكندري فتبغت من المنعة غايتها ، وكانت دولة فارس قد بسطت سلطانها على بابل ، ثم ضربتها قوة الإسلام فانسحق حينئذ الحديد والحرف والنحاس والفضة معا وصارت كعصافه البيدر في الصيف ، وهكذا يسى ترتيب الحوادث وتعميدها في رؤيا دنيال أساء لأرب في معناه إذ كنا نعلم أن بابل حلقتها فارس وميدية وأن سطوة فارس وميدية كسرتها سطوة الإسكندر . وأن ملك الإسكندر حمله الدولة الرومانية التي إقامت من عاصمتها القسطنطينية أركان مملكة ورومية اسيوية . ثم انهزمت هذه مملكة وأدال منها الفتح الإسلامي وعروا لى والصحابة »

وهذا الحجر الذي جاء في رؤيا دنيال يذكره أشعيا والخوازي منى ، ففي لأصحاح الثامن من سفر أشعيا أنه « يكون مقدسا وحجر صدمة وصخرة عثرة لكل من بنى إسرائيل ، وفحا وشركا لسكان أورشليم ، ويعثر بها كثيرون ويسقطون ويلقون فيقطعون »

وفي الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى يقول . « لذلك

نقول لك إن ملكوت الله يترع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترصص ومن سقط هو عليه سحقه »

كذلك يذكره المزمور الثامن عشر بعد المائة إذ يقول « إن الحجر الذى رقصه الساعون قد أصبح عقد البناء وركن الزاوية »

ويتبين من كلام السيد المسيح في الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى المتقدم أن هذه السوءة نسي عن زمن غير زمن السيد المسيح ، إذ يقول عليه السلام . « أما قرأتم قط في الكتب أن الحجر الذى رقصه البناءون قد صار رأس لزاوية فمن قبل الرب كان هذا هو عجيب من أعيننا »

ثم تفضى السوءة - سوءة البى ديبال - إلى عقابها فيصبح الحجر جبلا عظيما ويملا لأرض كلها فإب هذا أبى حدث بعد انتشار الدعوة المحمدية فإن الرسول الكريم وصحاته هموا قصر وكسرى وأصبح المسلمون سادة العالم المعمور كله في ذلك العصر ، وصار الحجر جبلا عظيما مظل رمام العالم في أيدي أتباع محمد ألف سنة

ثم تتم سوءات العهد القديم بسوءات العهد الجديد ، ويستشهد جماعة الأحمدية بالأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى حيث يقول السيد المسيح « اسمعوا مثلاً آخر . كان إنسان رب بيت عرس كرمًا وإحاطه سياج وحفر فيها معصرة وبني برجا وسلمه إلى الكرامين وسافر ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره فأحد الكرامون عبيده وجدوا عصا وقتروا عصا ورحموا عصا ، ثم أرسل إليه أنه أحيرا قائلا إياهم سايون أبى . فأما الكرامون فلما رأوا الالاس قالوا فبا

بيهم هذا هو الوارث هموم بقتله وبأخذ ميراثه فأخذوه وأخرجوه
خارج الكرم وقتلوه ، فمضى حياء صاحب الكرم فنادى بعض أولئك
الكرمين ؟ قالوا به أنه يهلك أولئك لأردياء هلاكاً رديئاً ويسلم الكرم
إلى كرمين آخرين يعطونه بالأثمار في أوقاتها قال لهم يسوع أما
قرأتم قط في الكتب أن الحجر لدى روضه الساء قد صار رأس
الزاوية ؟ من قبل لرب كان هذا هو عجيب في أعينهم لذلك
أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن
سقط على هذا الحجر يترصص ومن سقط هو عليه يسحقه ولا سمع
الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم ، وإذا كانوا يريدون أن
يمسكوه حافوا من الجموع لأنه عندهم مثل نبي .

هذا المثل سمعته كتاب المقدمة لترجمة القرآن فيقولون إن السيد
المسيح قد ألخص به تاريخ الأنبياء والرسل أجمعين . فالكرم هو الدنيا
والكرامون العاملون فيه هم الجنس البشري الكادح في دياره . والثمار
التي يريد صاحب الكرم أن يحصنها هي ثمرات المصيلة والخير والتفوى ،
والخدم الموفدون من صاحب الكرم إلى الكرامين هم الرسل والأنبياء .
ولما حياءهم السيد المسيح بعد اعرضهم عن الرسل والأنبياء فعدروا به
وأكروه عوقبوا بتسليم الكرم إلى كرامين آخرين وبرع ملكوت الله بهم
لتعطاه الأمة الأخرى الموعودة بالبركة مع أمة إسحاق ، وهي أمة
إسماعيل ربيها العظيم محمد عليه السلام ، وهو الذي يصدق عليه وعن
قومه أنهم كانوا الحجر المرفوض فأصبح هذا الحجر رأس الساء من سقط
عليه روضه ومن أصيب به فهو كذلك مرصوص .

وتتلو هذه لسوءة في إنجيل متى سوءة منممة من الإنجيل نفسه حيث
جاء في الإصحاح الثالث والعشرين منه خطانا لى إسرائيل ، هوذا
بيتكم يترك لكم حرماً ، لأنى أقول لكم إنكم لا تروننى من الآن حتى
تقولوا مبارك الآتى باسم الرب ۝

وفى الأصحاح لأول من إنجيل يوحنا سأل يحيى المعتسل أو يوحنا
المعمدان مع الكهنة واللاذيين « د سألوه من أنت ؟ » اعترف ولم يكر
وقال إني لست مسيح سألوه إذن ماذا ؟ أنت إيليا ؟ فقال لا
قالوا أنت لى ؟ فأجاب لا فقالوا له : من أنت لتعطى حرماً
للذين أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ قال أنا صوت صرح فى
البرية ، قوموا طريق الرب كما قال أشعيا لى ۝

وبعقب أصحاب المقدمة للرحمة لقراءة على هذه لسوءات يقول
إسكات ثلاثاً فى عصر المبلاد المسيحى كما هو واضح من الأسئلة
والأجوبة سوءة عن عودة السيد المسيح ، ونوءة عن نبي موعود غير
إيليا والسيد المسيح

ولقد أعلن السيد المسيح كما جاء فى الأصحاح الحادى عشر من
إنجيل متى « أن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنسأوا ، وإن ردتهم
أن تقلوا هذا - نى يحيى المعتسل هو إيليا المزمع أن يأتى » .

ووصح من الأصحاح الأول من إنجيل لوقا أن الملك بشر دكرى
بأن امرأته سئدة ولد وتسميه يوحنا « وأنه يكون عظيماً أمام الرب
لا يشرب حمراً ولا مسكراً ويمتلى من بطن أمه بالروح القدس ويرد

كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم ، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته
ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء . »

وفي الأصحاح التاسع من إنجيل مرقس يقول السيد المسيح « إن
إيليا أبصاً قد أتى وعملوا به كل ما أرادوا كما هو مكتوب عنه » .
ويتكرر ذلك في إنجيل متى إذ يقول « إن إيليا قد جاء ولم يعرفوا
بل عملوا به كل ما أرادوا » .

فالنبي إيليا قد تقدم إدا في عصر الميلاد ، وقد جاء فيه المسيح أيضا
ثم نبي السبي لموعود ولم يظهر بعد السيد المسيح نبي صدقت عليه
لصفات الموعودة عبر محمد عنه السلام ، وكلام السيد المسيح في
لأصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا بين للتلاميذ « أنه حير لكم أن
نطلق لأنه إن لم نطلق لا يأتيكم لمعري ، ولكن إن ذهبنا أرسه
إليك ، رمي حاء ذلك يبكى العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة
فأما على خطيئة فلاهم لا يؤمنون لي ، وأما على بر فلأنني داهب إلى أبي
ولا تروني أيضاً ، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين ، وأن
ندي أمور كثيرة أقولها لكم ولكن لا تستطيعون أن تسمعوها الآن ، وأما
متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى الحق جميعه ، لأنه لا يسكنكم
من نفسه بل كمن ما يسمع تكلم به ويحرككم بأموراً آتية . ذلك يحدني
لأنه نأخذ مما لي ويحرككم . وكل ما لأب فهو لي . هذا قلت إنه يأخذ
مما لي ويحرككم وبعد قليل لا تصرونني . »

وقد جاء نبي للإسلام بمجده ، للسيد المسيح بسميه روح الله ويحدد
رسالته لأنها رسالة الله .

وبعد تأويلات شتى من قبيل ما تقدم تحتّم الجماعة الأحمدية بحثها بالإشارة إلى ما جاء في الأصحاح الثالث من أعمال الرسل الذى ينشئ عن تنافع النبوءات من صمويل إلى السيد المسيح بظهور نبي كمومى الكلم صاحب شريعة بحقق الوعد لأبناء إبراهيم وبارك جميع قبائل الأرض ، ويكون هذا النبي من إخوة نبي إسرائيل لا منهم . فهو من ذرية إسماعيل لا من ذرية إسحاق .

• • •

إن أبناء الهد وأبناء فارس - كما قدمنا - قد توهروا على هذا الدّيب فى استتراح حديد الكلمات والحروف والمقابلة بين المصامير والتأويلات وإتمام أجزاء منها بأجزاء متفرقة فى شتى المصادر والروايات ، ولكم لم ينفردوا بالبحث فى هذه النبوءات وهذه الطوائف خاصة وحاراهم فيها الباحثون من سائر الأمم واجتمعت فى كتاب « فتح الملك العلم فى سائر ديار الإسلام »^(١) متفرقات لم يرد فيها أسلم من السحوت الهندية ، أو وردت عن منبع غير منهجها ، تلخص بعضه فيما يلى ولا نستقصيه لأنه يقع فى أكثر من مائتين وستين صفحة .

ويعتمد المؤلفان على الأصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين إذ جاء فيه أن أبناء إسماعيل سكنوا « من حويلة إلى شور التى أمام مصر حبيبا تقي » نحو آشور « فهم إذن سكان الحجار لأن الحجار هو الأرض التى بين آشور وحويلة إذ كانت حويلة فى اليمن كما جاء فى الأصحاح العاشر « إن بقطان ولد الموداد . وشالف ، وحضر موت ، وبارح »

(١) مؤلفيه الامتازين أحمد ترحان ومحمد حبيب .

وهد ، ورام ، وأورال ، ودققة ، وعونال ، وإيمايل ، وشا ، وأوهير ،
وحويلة ، ويوباب جميع هؤلاء سويقطان « سكان الأرض البمانية
ويعتمدان كذلك على وعد إبراهيم الخليل في سفر التكوين » لأنه
باسحق يدعى لك سل واس الحادية أيضا سأجعله أمة لأنه
سلك » وإنما شرط الوعد لأنباء إسحاق باتباع وصايا الرب وألا
يعبدوا إلها غيره وإلا فهم يبدون سريعا عن الأرض الخيدة كما جاء في
الأصحاح الحادى عشر من سفر التثنية وقد عهد القوم أربنا غير الله
وانحدوا الأصنام والأوثان كما جاء في موضع كثيرة من كتب العهد
القديم .

ومما اعتمد عليه المؤلفان رؤيا النبى دنيال .

وفي الأصحاح التاسع منها يقول : « سعون أسوعا مقصية على
شعب وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتم الخطايا ولكفارة
الآثم وليؤتى بالبر الأندى ولحتم الرؤيا والسورة ومسح قدوس القديسين ،
فأعلم وأنهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح
الرئيس سعة أسابيع وأثنى وستون أسوعا يعود ويبقى مسكون وحلج في
صين الأرمية . وبعد اثنين وستين أسوعا يقطع المسيح وشعب رئيس
آت يحرر المدينة والقدس وانهاؤه بهارة ، وإلى النهاية حرب
وحراب . . . وعلى حجاج الأرحاس »

وهذه الجامعة هى التى تم كما جاء في سفر أشعيا « على يد شعب بعيد
من أقصى الأرض » أو كما جاء في سفر التثنية « أن الرب يحلب أمة من
بعيد من أقصى الأرض . . . ثم يردهم إلى مصر في سفن ،

وقد تم ذلك حين استدعى الرومان حاكم بريطانيا الكبرى ومعه جيش بكل اليهود وحرص طائفة منهم أسرى إلى مصر وطائفة إلى رومة من طريق البحر سنة ١٣٢ فلم تنته حرب الرومان سنة ٧٠ ميلادية بل جاءت بعدها تلك الحرب لتالية مصدقة لسوء الدمار على يد القادم من بعيد وسوء النقل على السفن إلى الديار المصرية وما وراءها

يقول المؤلفان ، ويعتمدان في ذلك على إجماع لشرح . أن اليوم من أسابيع ديار سنة ، وأما إذا أصعبا أربعائة وتسعين سنة إلى سنة ١٣٢ فتلك سنة ٦٢٢ التي هاجر فيها النبي عليه السلام إلى مدينة يثرب ، وبعد أربع عشرة سنة دخل جيش الإسلام القدس الشريف وبني المسجد الأقصى في مكاب هيككل ، وكان الفرس قد ملكوا فلسطين أربع عشرة سنة ألاحوا فيها لليهود إقامة شعائرهم ثم عاد الرومان وتلاهم المسلمون فكانت السور التي مصت بعد المحررة السورية مقالة لتدث السير التي ارتفع فيها الحجر عن اليهود على عهد الدولة الفارسية

• • •

هذه العلامات بما هي مما دح لإصعاف أصعافها لم تحصرها لإبها تستغرق مئات الصفحات ولا يلزمها حصرها جميعا لأن الأمثلة المتقدمة تكفي لتعريفها وإن لم تجمعها محققها ونحن أمام هذه البحوث المستفيضة نوحى فيها عند الوسط بين الفصول وهو جمع هذه البحوث كلها في هذه الرسالة التي لا تتوقف على العلم ببحوث لعلامات والطولع جميعا وبين لقص وهو همال هذه البحوث كل الإهمال في رسالة تدور على بيان مقدمات السورة الإسلامية وعلى الآراء المختلفة في شرح ما سبقها

من هذه المقدمات ، ومهما يكن من رأى انقارئ في هـد العصر فالرأى
الذى رآه الناس منذ ألوف السنين ولا يرالون يرويه لا بد أن يكون له
مكانه التريغى ودلالته لنفسيه في هذا السياق

ولسنا هنا بصدد الإسهاب والتفصيل في نقد الأساليب التى يعتمدها
الباحثون في حل الرموز أو خلق هذه الرموز على الأصح في بعض
الأحيان ، لكنا نوجز فقصر لتعقيب على مقطع الآراء الذى لا بطول
عليه خلاف بين المنصفين ، فكل من راحع العلامات النبوية في كتب
الديانات من أقدمها قبل موسى وعيسى ومحمد عليه السلام إلى يومنا هذا
يرى ولا شك أن العلامات التى خصهاها من أقواها وأوضحها وأقلها
اعتسافا واستكراها للألماظ والتراكيب على غير معايها ، وإنما سطر إليها
على كل احتمال مفروض فلا يرى أنها تعنى عن الدلائل الكوبية ولا تعلم
أن قيام لدعوة اعمدة قد اعتمد عليها عند أحد من المسلمين الأوين أو
عند أحد من الذين دانوا بالإسلام في الزمن الحديث

فإد فرصنا أن التحريج صحيح في كل ما أورده الباحثون المتقدمون
وعبرهم فإن هذه العلامات لم تنفع أحدا من الذين كانوا يقرءون
التوراة في عهد الدعوة لمحمدية ولم يحسم طم موقعا من الدعوة غير
المحاجة والمكابرة والاشداد في الإيكار على نحو لم يعلمه من الخاهليين
والذين لم يطنعوا على حرف من كتب العهد القديم . وإذا قدرنا أن
هذه العلامات لم ترد قط في كتاب سابق لدعوة المحمدية لم يكن ذلك
مما يصير هذه الدعوة أو يصدها عن طريقها أو سلسها وسيلة من وسائل
الإقناع والذبوع التى اعتمدت عليها

هذا عن تقدير الصحة واصواب في كل تخريج وفي كل علامة
مذكورة مشروحة ، فأما على غير هذا التقدير فلا حاجة بنا إذن إلى
تعقيب طويل أو قصير

ولا بدع الكلام على لسوءات العيبة حتى نقرر فيها الرأي الذي
يسلمه المصنفون ولا يجرؤ أحد على إنكاره باسم العلم أو باسم المطلق أو
باسم القياس الصحيح

فما من أحد يجرؤ على أن يقول - باسم لعلم إن الإلهام بالعيب
مستحيل . لأنه إذا حرم باستحالة وحب عليه قبل ذلك أن يحرم بأمور
كثيرة لا يستطيع عالم أمين أن يقرها معتمداً على حجة أو سند قويم
يحب على العالم الذي يحرم باستحالة الإلهام بالعيب أن يقرر لما أنه
عرف حقيقة لرمز وعرف من ثم حقيقة المستقبل . ويحب عليه مع
ذلك أن يقرر تحريم السكون من عصر العقل غير عقل لإسباب وخيول
فما هي حقيقة الزم ؟ هل هو موجود في الماضي والحاضر والمستقبل
أو هو يوحد لحظة واحدة ثم يروى ؟ وما هي هذه اللحظة الواحدة ؟ وما
مدى إحاطتها بالبعد والقرب من الأمكنة الثمانية في هذه الأكوان ؟
وهل المستقبل موجود الآن أو هو عدم يوحد لحظة بعد لحظة ؟ وكيف
يوجد العدم بعد أن لم يكن له وجود ؟

إن العالم الذي يحرم في قلوب من هذه الأقوال باسم العلم يدعى على
العلم كذا ويم على عقل ضيق لا يصلح لسطر في هذه الافاق

فإذا كنا لا نرى وجود المستقبل مع مقطوعاً به مستند إلى حجة أو
بينة فالعيب غير مستحيل والعلم به لا يدخل في باب المسموعات أو غير
المعقولات

وإذا كان عصر العقل في هذه الأكوام أكبر من أن يحصره رأس الإنسان وحده فانتقال المعرفة منه إلى عقل الإنسان حائز على الأقل كجوار الانتقال بين الأفكار على ناعذ الأمكة والعقول ولا يدعى أن الانتقال الفكرى بين عقول الناس قد ثبث في هذا الزمن ثبوتاً قاطعاً في جميع التجارب والمحاولات فإن هذا الانتقال - المسمى استدثية - يصيب ويخطئ ويكفى أنه لم يصل كل البطالان باعتراف الملحدين والماديين إلى جذب المتدينين والمؤمنين

فإذا كان وجود مستقل لم يطل فكيف يطل العلم مما يجرى فيه ؟ إنه قد يطل إذ تحقق بالينة أن عصر العقل وراء عقل الإنسان مستحيل . فإذا كان وجود هذا العقل الأكبر لم يمتنع ولم يدخل في باب المستحيلات فكل دعوى هذ لمحرر باكر العيب وسكر العلم به أو الإيحاء به إلى إنسان من الناس إنما هى دعوى تهجم على الواقع ولا يكفى أن يقال فيها إنها تهجم على العيوب وعجولات

فبيكن رأيتا إذن في تحريجات الباحثين عن الطولع والعلامات ما يكون ، فإن هذا لرأى لا يطل الإيمان بالغيب إلا عن لسان محارف يحط بالقول حيث يحهل المدى الذى يجوز فيه وإنما يقبل تلك التحريجات أو لا نفسها لأ الباحثين فيها أصابوا أو أخطأوا في التحريج والتأويل ، وإنما نقلها أو لا نفسها كره أخرى لأن قيام الدعوات لسوبة متوقف عليها أو غير متوقف عليها بل ماضى في مسيله على اختلاف هذه العلامات

ما الإباء في العيب عشية العلم به والقادر عليه فلا يمنعه عيم ولا منطق ولا تحربة قاطعة من تحارب العباد

الأحوال العالمية قبل الدعوة المحمدية

مقدمات النبوة

والآن ، وقد أقررنا الطوالع والعلامات في قرارها الذي يسهر لاتفاق عليه ، بطرق الأبواب الواسعة التي تتفتح أمامنا لسبحث في مقدمات النبوة الإسلامية ، وهي أبواب البحث في الحوادث التاريخية والآيات الكونية . ويسر أنست مه في مقام الكلام على السوء لإسلامية بصفة خاصة بين سائر السوءات

تاريخ العالم كله - قبل عصر الدعوة الإسلامية - هو تاريخ هذه المقدمات حول بلاد لعرب وفي صميم الحرية العربية من أحوالها إلى أطرافها

فهم يكن للعالم كله في تلك الفترة حالة لا توصف بالسوء ولا يقال فيها بالإجمال إنها حالة فساد وانحلال
فلا حالة لعلم ولا لسياسة ولا لأخلاق ولا للمرفق العامة لا بوصف بتلك الصفة ولا لعب فيها السيئات كل العلب على الحساب
وإد نظرا إلى الأحوال في حملتها وحدها أنها هي الأحوال التي تنادى في كل مكان بالحاجة إلى الدعوة الدينية

ب ظاهرة واحدة كانت نف تلك لظواهر جميعها في طبيعتها . وهي

فقدان ثقة بكل شيء ، ولا معنى لذلك في كلمة موحرة إلا أن الثقة هي المطلوبه ، وأن الإيمان هو دواء هذا الداء الذي استشرى في كل مكان

وبدأ بالأديان الكبرى التي شاعت في العالم المعمور فبيل الدعوة المحمدية ، وهي على حسب قدمها : الموحسية وليهودية ومسيحية

فهم يكن أتباع دين من هذه الأديان على استقرار في عقيدتهم ، أو على ثقة بأخبارهم وأئمتهم ، وأولها وأشدها اضطرابا ديانة الدولة الفارسية أو ديانتها المتعددة التي تشملها الثنوية أي الإيمان برب بنور ورب للظلام وعام للخير وعالم للشر في كون واحد

فقد كانت هذه الموحسية تستعصى على لدعاة المصلحين من أيام الوثنية الآرية الأولى التي اشترك فيها يهود والفارسيون ، وقد عمل « زرادشت » جهده لتطهيرها من الوثنية وإحلالها من شعائر الهياكل والمجاريب الحفية فلم يتيسر له من ذلك غير اقليل ، وجاء بعده مصبحون من أتباعه مرحوا الملك بالتنحيم بالخرافة بالعبادة في نخلة واحدة . ولم يعرف الناس عنهم على العبد إلى عصر الميلاد المسيحي إلا أنهم رصدوا للكواكب طلبة لنحفياء والعيوب من وراء حجاب الظلام وقام « ماي » الذي نسب إليه المانوية في القرن الثالث للميلاد فأراد أن يعلق باب الوثنية في لشرق ويرجع إلى ثوبية قريبة من ثوبية « زرادشت » وتوحيد الفلسفة العقية . فحول قومه من مكتابة الهلوية إلى المكتابة الآرامية أو السامية ، وكاد أن يصح في إقناع دلاة الأمر نآرائه في الإصلاح والنزيرة لو لم تصدهم عليه دسائس الكهان والورراء ، هصى في السحر وقيل بهم سحرهم حله وعلقوه مصلوبا لساع الطير

ثم كانت العظمة لكبرى في عهد قياد أنى كسرى أنوشروان الذى
حضر بعثة النبى وتلقى رسالته بالسخط والوعيد

فى عهد قياد هذا ظهر « مردك » داعية الإباحة والفوضى فى الأموال
ولأعراض ، ولم يترشح هذا لداعية خطوة واحدة من الثبوتة إلى
التوحيد أو ما يشبه التوحيد ، وقال كما قال « مانى » من قبله إن العلم
كله فى قصة إله النور وإله الظلام ، غير أنه راد عليه « إن النور يفعل
ما يقصد ولا خيار وإن الظلمة تفعل على الخط والاتفاق ، وإن النور عمى
حساس والظلمة جاهنة عمياء ، وإن المراح كان على الاتفاق والسخط لا
بالقصد والاختيار ، وكذلك الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون الاختيار »

ورغم مزدك هذا أنه جاء ليطل الخلاف بين العقائد والأهم وبها هم
عن المداغمة والقتال ، وأنه لما كان أكثر ذلك إنما يقع بسب النساء
والأموال فقد أحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها
كاشترائهم فى الماء والنار والكلأ ، ورد القوى الكونية إلى أربع هى النير
والهمم والسخط والسرور ، وكل منها يعمل بسعة من النوراء يتبع النورير

مهم اثني عشر روحانيون . وكل إنسان احتتمت به أسرار الأربعة
والسعة والاثني عشر صار ربانيا فى العالم السفلى ورتفع عنه التكليف .
وإن ملك الملوك فى العالم العلوى إنما يدير بالحروف التى مجموعها الاسم
الأعظم ، ومن تصور من تلك الحروف شيئا افتتح له السر الأكبر ومن
حرم ذلك بقى فى عمى الجهل والسيان والملاذة والعمى فى مقابلة القوى
الأربع الروحانية (١) »

(١) الشهر سنابى فى مدخل والحق

ويقول عن مردك هذا أنه كان عظيم الدهاء حيرا بصوب الإقاع والإغراء . وبه بلغ من سبطانه على قتاد أنه أقعده بدل روحته لم يشبهها يعلم الناس الصدق في بمانه وقتلوه به في ترك التساعص والملاحاة على الأعراض والعروض فأوشك قتاد أن يفعل ما أوحاه إليه لولا أن عمه ولى عهده كسرى فدحل عليه بالسياك متصرعا يتوسل إليه فلا بدله هذا الإدلال ويشد أمه أمام الناس هذا لاشد . ثم بدلت عصاة ولى العهد فقتلوه وتعقبوا شيعته بالقمع والنشريد

وعنى الرغم من تناع المصلحين الذين اجتهدوا حياة اجتهدهم في تطهير الديانة المحوسية من الوثنية والمارسم الهيكنية لم تزل عبيدتهم جميعا في الأرواح والشياطين حائلا بينهم وبين التوحيد من حائلا بينهم وبين الثوية على ساطتها الأولى . فإن موالات الأرواح ومحاربة الشياطين تسوقهم إلى صروب من العبادة والرقى لطوائف شتى من الإرباب اصغار عدا لإهين الأقدمين إلى النور وإله الطلام ، ولا يرب المحوس إلى اليوم يبدون صلاتهم بعد منتصف الليل ويقصوب ساعات الصلاة الأولى في تلاوة الأناشيد التي يترصون بها شياطين الطلام . قل اشاق النور الأعظم عند الصباح

اليهودية والمسيحية

أما يهودية فقد كانت قديم المسيحية في معقلها الأكبر يبدنا حيا سعادها وانتهائها إلى العاية من الحمد والصبق إذ كانت المسيحية في الواقع حركة إصلاح واسع في جميع العقائد اليهودية التي جمدت على المصوص ورسوم ونحوت من الدين إلى نقيض الدين ، ولا شيء

بماقص انديس كما ناقصته تلك لأدبيه القوميه التي حسنت الاله العبود ملكاها دون سائر عبادته يبيع في سائر الأقوام مالا ساح في شريعة ولا نصاصر مستقيم

وفي عصر خيلاد نفسه طهر من حكماء ليهود من أحسن الحاجة إلى 'صلاح عقائد قومه وشعائهم ، فاختار هينون الحكيم أسلوب التعبير لرمزى لتفسير مسائل الكتب التي لا يعلها الحكمة ، وكان مما بنقت لطر في هذا الصدد أنه رجع إلى قصة إبراهيم وسارة وهاجر فعبرها على سدويه تعبير الرموز ، لأن المسلك الذي سب فيها إلى إبراهيم لا يعق من حليل الرحمس فعنده أن سارة هي الحكمة الإلهية وأن هاخر هي الدرة انديوية . وأن روج الحليل من سارة لم يثمر في أول الأمر لأنه لم يصبح له قبل الترس محقائق الحياة ، وقد كان هذا أسلوب الفلسفة الذي أدحه بولس الرسوب في أسلوبه لندبي فقا في رسالة علاطية « إياه مكتوب أنه كان لإبراهيم اثنان واحد من الخارية والآخر من الحرة . لكن الذي من الخارية ولد حسب الجسد ، وما الذي من الحرة فملوع . وكل ذلك رمز لأن هاتين هم لعهدان أحدهما من جبل سياء ابوالد للعبودية الذي هو هاخر لأن هاخر جبل سياء في العرية ، ولكنه يقابل أورشلهم الحاضرة فإنها مستعمدة مع سها ، وأما أورشلهم العلما التي هي أما حصعا فهي حرة . »

وهذه ثورة على تفسير موعد إبراهيم بأسلوب العصبية و لأماية نعت انظر فيما نحن بصدده وتومئ إلى ما يأتي بعدها في لرمن المتناول ثم سرى الإصلاح المسيحي مسراه قصي معه من اليهود من صلح له رنق حامدون على شر مما كانوا عليه قبل الدعوه المسيحية ، وحن العباد

والإصرار على الناطل حنايته المعهودة فدهست ربيع الكهانة والمراسم الهيكلية وتفرقت مراجع الديانة مع كل مجمع وكل معد وكل طائفة ذات مذهب في التوراة أو التلمود أو نقاليد الأخبار والرهبانيين ، وكان من آثار هدم الهيكل سنة سبعين بميلاد أن أشباعه فقدوا وحدة المراسم بعد أن فقدوا وحدة العقيدة والروح ، فلم يأت عصر البعثة المحمدية حتى استمحل الخطب بينهم من حراء تفسيراتهم الكثيرة فهضت بينهم طلائع الطائفة التي عرفت بعد ذلك بطائفة القرائين وأبكرت كل رأى غير النصوص والحروف في الكتب المسونة إلى موسى الكلم ، فكان حروب الصلح سبيل التنكسة إلى أيام العصبية والأسيية القومية ولم يكن سبيلا إلى الحرية والتحديد . ولما بلغت النظر مرة أخرى أن إصلاح هذا الحمود الحديد إنما أتى من قبل البلاد الإسلامية على يد سعلينا المصري واس ميمون الأندلسي ، وأن حكاء اليهود في القرن الثالث للهجرة لم يكن هم مذهب في تربيته الإله غير مذهب علماء الكلام من المسلمين .

وكذلك كان يهود العلم في عصر البعثة المحمدية بين أشنات يذهب كل منها مذهبه على حسب المجمع أو المعبد الذي ينتمى إليه . وبين شرائذ متعنتين في الحمود على الحروف والنصوص يرجعون بهذه التنكسة إلى الداء الذي قامت المسيحية لإصلاحه من نضعه قرون فتللك حاجة جديدة إلى إصلاح جديد

محنة المسيحية

وقد جاء الإسلام والمسيحية منتشرة في بلاد الدولة الرومانية شرقا وغربا يدين بها ملوكها ورؤساؤها ومعظم رعاياها ، وكان هؤلاء الملوك

والرؤساء قبل نصرهم يصطهلون المسيحيين ويعذبونهم ولا يتورعون عن لون من ألوان العذاب بصوبه عليهم ، فكانت محبة عظيمة صبر لها المسيحيون الأزلون صبر المؤمنين الصادقين ، ولكن هؤلاء الملوك ولرؤساء كانت محبتهم للمسيحية بعد نصرهم أشد عليهم من محبة الاصطهاد والتعذيب . لأنهم لم يكفوا عن لطم وراذوا عليه عت السياسة بالنعائد والآراء ، فجلسوا مطامعهم بين الخسعين على تصير المسيحية الأولى وهرقوهم شيئا متاعصة متافره يرمى بعضها بعضا بالكفر والصلالة . ويشب بينها الحدل فلا تنفق على قول حتى تمتنع أمامها مذاهب الخلاف على أقوال ، ولم يكن خلاف المذاهب يومئذ كخلاف المذاهب في العصر الحاضر يسمح بوجهات النظر ولا يستلزم طرد المخالفين جميعا من حظيرة الدين ، بل كان بحث الآباء الأولين في سبل الوصول إلى أركان العقيدة وتقرير ما يسمى بالمسيحية وما لا يحسب منها وإنما يحسب من الكفر والصلالة فلم تبق محلة من لنحل الكثيرة إلا حكمت على مناقصها بالمروق والهرطقة ، وتعددت هذه النحل بين الأريوسية والنسطورية واليعقوبية والملكية على ناعد الأقوال في الطبيعة الإلهية ومنزلة الأقسام الثلاثة منها ، وبأى الرابع بين الكيستين لشرقية ولعربية فيقضى على النقية الناقية من الثقة والطمأنينة ، ولا يدع ركنا من أركان لعقيدة بمعدة من الحدل والانهام ، فلا حرم يتردد على الألسنة ويدون في كتب التاريخ يومئذ أن القوم جميعا قد استحقوا العقاب لإلهي وأن أناء إسماعيل قد جاءوا من الصحراء بأمر الله عقابا للظالمين ولما رقبين .

ويستطيع القارئ أن يترجم هذه النحلة لموادث السياسة وممارعات

العرش فلا يرى من حوادثها يومئذ لا رعارع من هذا القليل على عروش الدول والإمارات وأوطان عرش الأكرسة وعرش القياصرة رؤساء أكبر الدول في ذلك الحين ، فهم يكن بين الملوك خمسة أو الستة الذين تعاقبوا على عرش فارس أو عرش بيزنطية من مات حتف أمه أو مات مستقرا على عرشه ، ولم يكن منهم أحد كان له حق واصح في السلطان على عرشه ، ولم يكن منهم أحد كان له حق واصح في السلطان حين وثب عليه ، وينقلب العرش بين الفاصسين فيمنزع من كان آمنا ويأمن من كان مهدداً ومشرداً في البلاد مع اختلاف الخطوة والنقمة بين الأنصار والخصوم ، فلما تمدى الأمر عبي ذلك عاماً بعد عام لم يبق من يأمن على نفسه وماله في زمن أنصار ولا زمن خصوم ، وعم الخوف قرب الناس إلى السلطان وأنعمهم منه على حد سوء .

وتمت المحنة الكبرى بالقتال الدائم بين الدولتين ، فإذا ما لبس الواحد يقلب في الحكم بين سيادة الفرس وسيادة الروم فلا تهدأ له حال في نظام ولا في سلام ولا في معاش يأمن الناس على مرافقه ومسالكه بين ميادين القتال ، وبطل الأمان كما بطل الإيمان ، فلا خلاصة لهذه الأحوال جميعاً غير خلاصة واحدة هي صبيح الثقة بكل منظور ومستور . فلا أمان من السياسة ولا من الدين ولا من الأخلاق ولا من الواقع ولا من العيب .

هذه أحوال العام وهذه هي مقدمات الدعوة الإسلامية من تلك الأحوال . مقدمات لا تأتي نتائجها على وثيرة الداء الذي شبعه الغناء ، ولكنها مقدمات العناية الإلهية التي تدبر بدواء للداء المستحكم على غير انتظار وبغير حساب . عام إذا صح أن يمدل عنه به كان ينتظر شيئاً من وراء العيب فإنما كان ينتظر عناية من الله .

الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية

كان في الجزيرة العربية محوس ويهود وبصاري ، وعرف أساء جزيرة هذه الأديان من طريق لملود الفردية في رحلاتهم ومبادلاتهم مع الأمم التي تحيط ببلادهم ؛ كما عرفوه من طريق الدعوة العامة التي بعزها سلطان الرؤساء على محوس حدث في أرض عدن والحيرة ونجران

ويقول ابن قتيبة إن المحوسية كانت معروفة في قبائل تميم ومنهم ريرة بن عدس وابنه حاجب ، وقد تزوج ابنته ثم ندم . . . ويرى أنها كانت شائعة بين قبائل البحرين عامة على مقربة من فارس ، وأن لقبط بن زدارة - كما جاء في ابن الأثير - تزوج بنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسي ومات عنها عفاً وهو موجود نفسه

يا ليت شعري عنك دختنوس

إذا أتاهما الخبر المرموس

أتحق القرون أو تميمس

لا ، بل تميمس إنها عروس

والأعلب على الطر أن المحوسية شاعت في هذه القبائل لأنها كانت سهلة هيبه عليهم لانكصهم بقاء المياكل ولاحت الأصنام . ولا يكرهون في عاداتهم النار شيئاً لأن شغال البيران لقوى والإستقاء وإشهار الخلف لم تكن مجهولة في الدية العربية . ولعلمهم سبقوها إلى

عماده بعض الكواكب لأهم كانوا أحوح إلى رصد الأنواء والاهتداء
بالنجم في سمر الليل حتى حملوا له أسما خاص من السرى والإدلاج
وعيرهما من الرحلة في صائر أوقات الطلام .

ولعن أحدا منهم لم يكن بلغت إلى محوسية المحوس إلا حين يحدث
الرواج بالمحارم الى لا يحلها عامة العرب ، فأما فيما عدا ذلك فقد كانت
مراسم لديهم عادات كعبرها من عادات البداوة في الأغراس والمآتم
وتعظيم الأسلاف والأرواح . لا ينكرها المحوسى ولا اليهودى ولا
المصرانى من عرب الجاهلية

وإذا كان عرب البحرين قد عرفوا المحوسية فقد عرفوا الصابئين الذين
كانوا يقيمون على مقربة من بلادهم ولكنهم لم يقتدوا بهم في عقيدتهم
لكثرة قيودها وأشراتها وكنها الصابئين ما كانوا يؤمنون به محالها لمن
حولهم . وقد كانوا يوافقون كل دين في أشياء ويخالفونه في أشياء ،
ويختصون إلى العزلة والاعتكاف فلا يصل إلى أسرارهم إلا من تعدد
البحث عن والتعاذ إليهم من طلاب المعرفة والمتسككين والمتحمسين .
والظاهر من أصول كتبهم الباطنية أن الصلة بينهم وبين بطن الحجاز
الشمالى عن طريق العراق والعقبة كانت أوثق وأقرب من صلاتهم بسكان
البحرين والشواصى ايماناً . وهذا واحد فيهم من يتسمى إلى حد سموه
كاظم بن تارح يرسمون أنه أخو إبراهيم الخليل . وكيفما كانت علاقة
العرب بموطن الصابئين فلم توحد بين العرب قبيلة كبيرة تدعى بصفة الصابئين
كما دأبت نعم بالمحوسية لأن هذه طلة الصابئية بطبيعتها لا تنتقل إلى

طائفة كبيرة بعدة من موطنها عن موارد الماء ، وإنما يستقل إليها فرد أو أفراد بمصون عقيدتها على اسقائد الوثنية من حولها . ولا يحى شأن الارتباط بالمكان في العقيدة الصائنية ، فإن اشتراط القرب من الماء هريضة من فرائضهم العامة . واسمهم الأول في أصله مأخوذ من سبع لا من ساء التى ينتمى إليها بعض قبائل اليمن ولا من صاء بمعنى ارتد عن الدين ، ودلت أبحاث الآراء فيها قبل عن صوب هذه الأسماء

وكانت اليهودية أعم انتشارا في جزيرة العربية من النحوسية لأن النحوسية بقيت محصورة في عشائر من العرب من سكان بين البحرين ، ولكن اليهود كانوا يهاجرون بحملة قبايلهم من أرض كنعان كلما أصابهم القمع والتشريد من فاتح جديد . وقد هاجر بو النصير وبو قريظة وبو همدن حملة واحدة إلى بئر على روية الأعافى « بعد أن ظهرت الروم على بى إسرائيل جميعا بالشام »

قال صاحب الأعافى : « لما قدم بو النصير وقريظة وهمدن المدينة ربوا العابة فوجدوها وبئة فكرهوها وبعثوا رائدا أمروه أن يلتبس هم بلاء سورها . فخرج حتى أتى العالية وهى بطحان ومهرور واديان من حره على تلاء أرض عذبة بها مياه عذبة تست حر اشعر فرجع إليهم فقال . قد وجدت لكم بلد طيبا بزها إلى حرة يصب فيها واديان على تلاء عذبة ومدرية طيبة في متأخر الحرة فتحول القوم إليها في منزلهم هنزل بو النصير ومن معهم على مهرور وكانت هم تلاءهم وما تنق من نبات وسموات فكان من يسكن المدينة ، حتى برها الأرس والمخرج . من قتال بى إسرائيل بو عكرمة وبو ثعلبة وبو عمر وبو زعورا وبو ريد

وسو النصير وسو قريظة وسو مهدل وسو عوف وسو القصيص فكان
يسكن يثرب جماعة من أبناء اليهود فيهم اشرف والرؤة والعز على سائر
ليهود . وكان هناك معهم من عبريى إسرائيل بطون من العرب منهم
سو الحرمان حى من ايمن وسو مرند حى من بلى وسو بيف حى من بنى
أبضا وسو معاوية حى من بنى سليم ثم من بنى حارث بن سفة وسو
الشطية حى من غسان»

ولم ينزل اليهود بغير مدن والقرى لى يحميم فيها الآطام والأبية .
فرلوا تيماء وهدك وخيبر واشتموا بالتجارة والصناعة فى المدن وررعو
الأرض حوطا للمرعى والأثمار بمحاصيلها . واحتادرو من التحارة
يسرها على غير المحاربين لاسهم لم يقدرُوا على حراسة بقوافل الكبره التى
كانت تحمل أحيانا كم حاء فى الطبرى على أكثر من ألى حمل .
فاستعلوا امدل اشاركوا فى قروض الرن والوساطات ولم يسو قط أنهم
عرباء فى مد عرب . واجتسوا المراحة فى التحارة فلم يكن هم شأن
مكة دون سائر المدن لأنها كانت مستقلة بالتحارة عن طريقها فى أيدى
فريش . ولكن يقال فى روايات غير حاسمة أن بصوبا من مبر وكناة
وكندة وسى الحارث عرفت اليهودية من حورها بطريق امدل التى سكها
اليهود

وموضع النظر الكثير ما يقال عن دخول اليهودية فى ايمن وقيام دولة
يهودية فيها بأمرة درعة امكى لدى موسى . فلا خلاف فى وجود اليهود
بين عرب الحبوب من أهل اليمن . ولكن الخلاف فى تاريخ دخول
يهودية نبت البلاد ووسيلة دخولها . لأن المعهود فى بنى إسرائيل
متأخرس أنهم كانوا لا يدعون أحدا إلى دخول دينهم لإبشارهم أنفسهم

وبعد إبراهيم الخليل وحصر هذا الوعد في ذرية إسحاق بن يعقوب .
وقد حدث في عهد هرمانوس الأول المكاني أنه أعار على الأروميين
وكرههم على اليهود فهدوا وقامت منهم دولة هيرود حليفة لرومان
وكان ذلك في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد حين ضعف أمام اليهود
برحمة الدولة نديويه في أرض الموعد . وكان مديراً حريياً سياسياً
دعت إليه لرغبة في تأمين الصريق ومحنة الرومان لدرء الخطر من ناحيته
فارس وحلفائهم من حجاب الصحراء فإذا كان اليهود قد أكرموا مثل
الذين على اليهود فمن أين لهم القوة التي تصارع قوة المكانيين في الشام
وفلسطين ؟ وإذا كانوا قد هددوا تلك القبائل بالسيوف والإقذاع فكيف
علو أن يشركوا معهم أناس من مضروبين المحرومين في وعد إبراهيم
الخليل ؟

إن الاحتمال الأرجح بين هذه التفاصيل أن اليهود وصلوا إلى اليمن
مهاجرين متفرقين . وربما بدأت هذه الهجرة من أيام النبي سالي بن قيس
بابل من طريق البحرين إلى اليمن . فإن لم تكن موجة هذا الانحلال في
القدم فقد يكون مدوفاً عند شتات اليهود في أوائل القرن الثاني
بالميلاد . ثم استمرت نحو ثمانية مئة إلى أواخر الدولة الحميرية . ثم
وجد لليهود الحميريون أنفسهم معرضين لخطر واحد أمام تحالف الحشة
والروم وبضاري اليمن سحرا وغير خراب فعقدوا تحلفا مقابل هذا
خلف بينهم وبين فارس وأعوانها من عرب لشواطيني اشرقيه

ومن المعلوم أن الدولة الفارسية كانت تنارع الحشة والروم في أرض
يمن . وكانت ترحب في بلادها باليهود بعد انقلاهم على الدولة

الرومانية واشتهرهم بمعادنها وموالاة أعدائها ، وكانت ترحب بالنصارى الذين اضطهدهم الرومان الوثنيون ، ولم تزل ترحب بعد ذلك بالنصارى من أتباع المذاهب التي وقع عليها التحريم والتشريد بعد تنصر العوام الشرقيين في القسطنطينية . ولم تقل نصارى الحيرة إلا لعمها بماهتهم لنصارى عساة من أتباع الرومان واتبائهم إلى مذهب النسطوريين

فاندوله الحميرية على عهد ذي نواس لم تكن دولة يهودية يقبها اليهود ويدخلوها معهم في عداد شعب الله المختار ، ولكنها كانت تحالف اليهود وتعمل على الاشتهار بمحافلهم لإقناع فارس بولائها في الراح ييبها وبين الحبشة وروم ، واشتهرت من ثمة باليهود لأنها أبدت اليهود وتمكرت للنصارى حذرا من معاودتهم - حقبة "وجهرة" - لشركائهم في العقيدة أبناء الحبشة ، ولو كان اليهود هم القوة التي قامت عليها دولة حمير وصاروا إلى لقلة التي عمرتها لكثرة العربية في القرن الخامس للميلاد .

وأي كان تاريخ اليهودية في اليمن وفي بلاد العرب عامة فإنها لم تكن ذات رسالة دينية أو روحية للإصلاح والإصلاح ، ولم تكن يهودية معترفا بها بين بني إسرائيل في غير الحرية العربية ، وقد نقل الدكتور إسرائيل ولفسون صاحب كتاب " تاريخ اليهود في بلاد العرب " رأيا فيهم لليهود دمشق وحبش رواء حريز Graetz فقال : " بهم كانوا يسكرون وحمود يهود في الحرية العربية ويقبولون إن الذين يعنرون أنفسهم من يهود في جهات حبر ليسوا يهودا حقا إذ لم يحافظوا على الديانة الإلهية التوحيدية ولم ينقصوا لقوانين التلمود حصوعا تاما ، وأن إلهام شيركان يعتقد أن

اليهودية في بلاد العرب كانت لها صبغة خاصة . فقد كانت يهودية و
سُاسها ولكنها غير خاضعة لكل ما يعرف بالقانون التلمودي »

ولا يمنع هذا أن يكون لليهود يثرب رأى في أنفسهم غير رأى إخوانهم
الدمشقيين والحليين ، فقد رأى أوليري Oleary في كتابه عن
بلاد العرب قبل محمد « أن بني النضير وبني قريظة كانوا يسمون أنفسهم
بالكاهيين ويرغمون من ثم أنهم من نسل هارون ، وما ياقوت فيه
يقول أن يهود يثرب عرب يهودوا وقد يخطر لنا أن بني قينقاع كانوا من
عرب الشمال الأدوميين أو أشباههم الذين هاجروا إلى بلاد العرب بعد
هدم الهيكل سنة سبعين أو بعد تشريد اليهود عن عهد هادريان سنة مائة
واثنين وثلاثين »

على أن الصبغة اليهودية التي بقيت مع يهود يثرب في معيشتهم
وصناعاتهم ومعاملاتهم ومعرفة بعضهم بالكتب العبرية القديمة ولادتهم
بالآصام - أدل عليهم من تقديرات المؤرخين على النصوص ولتحسين ،
وما أشبه قينقاع أن ترجع في أصلها إلى كوهسكا ؟ وما أعد أسم النضير
من أسماء العرب الأقدمين ! لقد قيل إنهم نطن من بطون حدم من
أساء عم اللحمين ، فهل كان في حذام من يعرف العبرية كما عرفها يهود
يثرب ؟ وهل كان في وسعهم أن يشتوا المدرسة العبرية التي طلت إلى
عصر الدعوة المحمدية يسميها العرب بيت المدارس ويسميها اليهود (بيت
هام مدراس) ؟

وقد كان يحس هؤلاء يهود أثري في مقدمات الدعوة الدينية . أو
مقدمات النهضة القومية الإنسانية معارضة أخرى لو أنهم أعادوا عرب من

حوكم دروسا في التفكير والأخلاق تكشف لهم عن سحر الخاهلية
وتبني صبايرهم ما هو أصح منها وقرب إلى تقدم والهداة هذا أو
تكون حياتهم بين العرب قدوة صالحة يقتدون بها في معاملاتهم وعلاقة
بعضهم ببعض في السلم والحرب والمخالفة والمخالفة

ولكنهم لم يصنعوا هذا ولا ذاك وصنعوا في أكثر الأحيان بغير هذا
ودك لأنهم لم يكتفوا لأمر اليهوديين من قبائل العرب إلا ليتصو
بولائهم وحراسهم لتحاتهم في الطريق فلم يكن بين الخاهيين اليهوديين
والخاهيين الوثنيين فرق في العادات والأخلاق إلا أن يكون فوق
الشجاعة والرحولة في حارب الوثنيين يمتدرون به على الذين تعودوا الليد
بالأطام وانتعق في حربه وسلمهم بدرائع المساومة والفاق

وقد كان يهود يثرب قدوة سيئة في كل علاقة بينهم وبين العرب أو
بينهم وبين أنفسهم في حوار المدينة . فقد كانت سياستهم مع قبائل
العرب قائمة على الإيقاع بينها وإثارة الأحقاد في المتخاصمين كما جنحو
إلى لسياد وتعاهدو على الصلح والأمن ورم اليهود أنفسهم دؤهم
القديم من الشفاق والمشاكسة حيث اجتمعوا في مكان واحد . فلبت
الخصومة بين بني قينقاع من جانب وبين بني النضير وبين قريظة من
جانب الآخر . ولم يتفق بين النضير وبين قريظة على شيء غير حسمهم
بين قينقاع وعمليهم على الوقعة بين قبائل الأوس والخزرج وهي كثيرة في
حوار المدينة وقد كانوا ينصبون على بني قينقاع أنهم كانوا يقيمون في
قصورهم داخل المدينة ولا مأوى لى قريظة غير صاحبة المشرق ولا لى
النضير غير صاحبة المغرب فلما نشبت حرب بين الأوس والخزرج تفرق

ليهود بين الخريين فكان هو فيساع مع الخرح وكان هو البصير وهو
 قريظة مع لأوس . وم يتحرك أحد من البصريين وانقرطين نصرة بني
 فيساع حين أحلامهم المسلمون عن المدينة . ولا تحرك أحد من القرطيين
 نصرة للبصريين حين قصى عليهم بالخلاء بعدهم بالبي عليه السلام
 وصعد أحدهم - عمر بن جحاش - على جدار يجلس النبي تحته ليلقي
 عليه بصخرة من أعلاه وإما وصفهم الآية بوصفهم هذا حيث
 جاء في القرآن الكريم من سورة الحشر أنهم « لا يقانونكم جميعا إلا في
 قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم شديد تحسبهم جميعا وقبوسهم
 شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون »

وليس في خليفة من هذه الخلائق قدوة صالحة نعلم الخاهلين
 ما يحسن لهم أن يتعلموه ويهتدوا به إلى طريق مستقيم

ولقد عاش يهود يثرب ما عاشوا في حرية لعرب ولم يؤثر عنهم قط
 سعى في سبيل مطلب من المطالب العامة وخاصة غير الاستكثار من
 الربح المشروع وغير المشروع بكل ما استطاعوا من حول وجية فلا حهر
 التي بدعته حدوده من مبدأ الأمر رأوا وعدوا وفودهم إلى كهار قريش ،
 يعرضون عليهم المؤررة والمخالفة والنحو حظهم التي ثابروا عليها بعد
 ذلك ولم يعدلوا بها إلى حين إحلالهم عن حدود الحرية ، وخلاصة
 هذه الحطة تثبت الوثبة الخاضعية وإيثارها على دعوة التوحيد والتربية
 التي جاء بها رسالة الإسلام وشملت بها معظم العقائد الكتابية وعقائد
 التوحيد حملة مد عهد إبراهيم الخليل وكان في معيهم لتأييد على
 هذه لدعوة بعض الأعداء والخليفة قبل الهجرة لسوية إلى المدينة . لأنهم

كانوا يتروحون في مساعيهم بين اخذر من عاقبة الدعوة وبين الأمل في القضاء على نحرارة قريش وانمرادهم بعد قريش بتجارة الحجاز كله من اليمن إلى مكة إلى المدينة إلى الشام . فلم يهاجر المسلمون انقرشيون إلى المدينة وأقاموا لهم سوقا بخوار سوق اليهود أرادوا ان يفسدوا كل ما صصعه الإسلام حتى الصلح بين الأوس والخزرج والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، واستياسوا في الكيد والفساد ولم يحرصوا على شيء غير استبقاء الربح والتأليب على كل إصلاح وكل مصالحة في غير هذا لسيل

فإذا كان لليهود يثر أثر في مقدمات الدعوة المحمدية فهو أثر أسوأ من أثر الجاهليين في المقاومة والعناد ، وهذا استفاد الباحث من تاريخ هؤلاء القوم توضيحا لتلك المقدمات فإنما تأتي هذه الفائدة من جانب آخر لا فضل لهم فيه ، فإنهم كانوا نصحبها عندما لأخطاء المستشرقين الدين أنكروا وحدة اللغة العربية قبل الإسلام في عصر العلاقات والقصائد الجاهلية ، ولقد كانت وحدة اللغة من مقدمات الدعوة الإسلامية التي حاظت العرب جميعا بلسان يعرفونه من قبل عصر الإسلام ، فعاء بعض المستشرقين بؤهم من أوهامهم يشككون في وحدة هذه اللغة وينكرون اتفاق الحريرة على التخاطب بلسان القرشيين والمكيين . ودرعموا أن وحدة هذه اللغة ممتنع لاختلاف لسان العدنانيين والقحطانيين

فاليهود في يثر أصدق حواب على هذه الأوهام لأنهم غرباء عن الخزيرة العربية دخلوها في القرن الأول أو الثاني للميلاد . ولا يجوز الشك في ذلك ولا القول بأنهم عرب يهودوا كما قال بعض المؤرخين على

غير علم ولا روية فيما يصح أن يقال ، فإن القول بذلك يستلزم ما أن نعرض للعرب الأميين بطوعوا للتحويل إلى اليهودية ثم تعلموا العبرية وتعلموا في كتب التوراة لينقطعوا عن أسلافهم ويصوبوا إلى قوم مخولين في بلادهم لا يسمون لأحد من الأمم بأنه من لدحول معهم في عداد شعب الله مختار . فهذا من أعرب المروص التي لا تثبت بغير دليل قاطع فصلا عن الثبوت بغير دليل ، وليس في هجرة اليهود من فلسطين إلى بلاد العرب عراية أو مناقصة لوقائع التاريخ بعد تشتيتهم في القرن الأول أو الثاني للميلاد ، وقد كان مقامهم على الطريق بين نيماء وادييه للتجارة والزراعة والاشتغال بغير صناعات القنائل العربية أشبه شيء أن يكون على تلك الطريق خاصة دون الطريق الأخرى التي يحتميها السط وقريش ولا يستطيع اليهود المهاجرون أن يفتحوها على أصحابها وهم مشردون مستضعفون . مع العداء بينهم وبين السطيين وتعصب السطيين على إسرائيل دينا ولغة وميلا في السياسة والولاء وعلى جميع هذه المروص التي لا تقل الشك تنفي هناك الحقيقة التي لا تختلف مع : اختلاف القول في أصول يثرب وحير وفدك ونيماء وودي القرى على الإجمال .

فهل هؤلاء عرب يكتنون ؟

لو كانوا كذلك لقد كانوا حلقاء أن يحفظوا في صحفهم كلاما عربيا مما قبل الإسلام ثلاثة قرون يخالف العربية الموحدة في عصر الإسلام . إن صحت أن العربية لم تكن موحدة في أيام شعراء المملقات . وبعض هؤلاء الشعراء لم يسبقوا عصر الإسلام بأكثر من مائة عام

وكانوا حلقاء أن يحفظوا بالكتابة العبرية صفحة غير اللهجة الموحدة
التي يشك المستشرقون في سقمها للإسلام إلى عصر أوشت الشعراء .
أو كانوا حلقاء أن يعلم من كتابهم شيئا يؤكد ذلك لشك نوعا من
التأييد .

أما إذا كانوا على القول المراحح بل لقاطع - يهود، دخلوا الحرية
بلسان غير لسانها . وتكلموا الآرامية أو لأدومية أو العبرية ثم تعلموا
لغة العبرية الحجرية فهذا التوحيد لدى ثم بين اللغة الحجرية وبين
الآرامية أو لأدومية أو العبرية ليس باستعرب ان ثم بين صفحة العرب في
الحبوس وشفة العرب في الحجر وسائر أطراف الحرية . فقد أقام عرب
اليمن في الحرية وتصلوا بالحجر ربما طول جدا من مقام اليهود
المهاجرين منذ القرن الأول أو الثاني للميلاد

ولم يصل إليها شيء من لغة اليهود الذين قاموا بحبوس الحرية أو
اليهود الذين تحلف معهم دونوا في محراب . ولكن اليهود الذين وفدوا
إلى الحجر بعد البعثة النبوية كان منهم كتاب ومؤرخون مطعون على
تواريخ حمير وتواريخ أسلافهم عبريين . وكان منهم كعب بن علقمة
الحميري الملقب بكعب الأحبار . وكان منهم وهب بن منبه البصري
الذي قال ابن خلدون أنه رأى كتابا له عن ملوك حمير وأخبارهم
وأشعارهم في محمد واحد ووصف هذا الكتاب بأنه مفيد وقد كان
كعب ووهب من المعربين في طب النبوة . فلم يذكرنا ربما شهداء . أو
شهداء تأوهم وأخبارهم كانت فيه لغة غريبة مجهولة في اليمن
وهذا هو الذي وأدى من ذلك إلى عصر البعثة قدوم اليهود من اليمن إلى

الحجّار ودهاب البوالة من الحجّار إلى يمن بإذن النبي عليه السلام ،
ومنهم معاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب ومن كان يصحبهما في عمل
البوالة والتعميم ، فلم يسمع أن وفود اليمن على النبي جهلوا ما سمعوه أو
نطقوا بكلام لا يفهمه أهل الحجاز ، وهؤلاء قد لقوا لغاتهم من آباؤهم
فلا يفهمون ما اختلف من كلامهم إذا كان ثمة اختلاف

وأقدم من البعثة الحميرية رحلة لصيف ورحلة الشتاء ، وبس في
أخبار هذه الرحلات إلماع إلى تفاهم قريش مع أهل اليمن بلغة غير اللغة
القرشية في الحيل السابق للبعثة والحيل الذي تقدمه ، ومن البعيد جداً أن
ينبغي عن ذاكرة امرئ حديث حبيب قل حبه وقد كانت أخبارهم
ورواياتهم وأسابيهم وأمثالهم كلها قائمة على الحفظ وتسلسل لرواية
والإسناد من حيل إلى حيل ، فإذا كانت لغة الحجاز شائعة عامة على
مدى الذاكرة في عصر البعثة الحميرية فلا أقل من ثلاثة أجيال تقدر لهذا
الشيوع وهذا التعميم . وترجع بنا هذه الأحيال إلى أقدم الأوقات التي
أسند إليها نظم العلاقات فلا يستغرب نظمها باللغة التي يفهمها العرب من
الحبوب إلى الشمال .

ولقد سمع النبي عليه السلام قصيدة كعب بن زهير ، وقد نظمها
ولا شك نعمة أبيه زهير بن أبي سلمى ، وكان زهير من أسرة شاعرة
مسوقاً إلى النظم مثل اللغة ، ولا يعقل أن يكون التعبير في النظم قد طرأ
عليهم هجأة في مدى سنوات معدودات ، فإذا بلغنا بالمعوقات عصر
هرم بن سنان ممدوح زهير — وما تقدمه بقليل فليس من شعراء
المعوقات من هو أقدم من ذلك برمس طويل يمتنع فيه التوافق على النظم
الواحد واللغة الواحدة ، ولا بد أن نذكر هنا أن أوران العروص لا تخلق

بين يوم وليلة ، وأن ورد قصيده كعب وورد قصيده أبيه قد وحدا قبل
عصر لشاعرين ونظمت فيها قصائد جيل أو حيلين على الأقل قبل ذلك
التاريخ ، ولو أن هذه الأوزان وسعت شعرا غير شعر اللغة الحجرية لما
غاب خبره ولو غاب لفظه ومعناه

ومن عسف القول ولا ريب أن نحزم بامتناع هجرة البجائية إلى ما وراء
حدود اليمن في الجزيرة العربية ، فإذا جاز أن تهاجر منهم قبيلة واحدة
فحكم القبيلة في مسألة اللغة كحكم لقبائل العشر أو العشرين . ولمن
شاء أن ينكر نسبة البكرين أو التغلبيين أو العساسنة إلى اليمن مستندا إلى
الدليل أو غير مستند إلى دليل على الإطلاق ، وبكفه لا يستطيع أن ينكر
نسبتهم إلى اليمن وينكر نسبة اللغة العدنانية إليهم في وقت واحد ، فإنه
بدلك ينكر نسبتهم إلى كل أصل معروف في الجزيرة العربية ولا يأتي لهم
بأصل غير تلك الأصول .

وأن من ينكر انتقال قوم من اليمن إلى ما وراءها ليسكر أمر غير قابل
للإنكار في الجزيرة العربية التي لم يثبت فيها تاريخ أثبت من تواريخ
الرحلات على تباعد الأرملة وتبدل العوارض الجوية وطوارئ الحصب
والجذب والعبء والمزيج . وما من باحث ذي روية بعثف البت بدلك
الإنكار ثم يحرم بحصر البجائية في حدودهم منذ حاظت بهم تلك
الحدود . من العسف أن يقال إن البجائية لم ترح اليمن فقد في العصور التي
سبقت النشة الحمديدية ، وليس من العسف في شيء أن يقال إنها هجرت
على حسب الطوارئ وعوامل الجو والتاريخ ، ولا داعية بعد ذلك
لاستعراب التوافق بين البجائية وأبناء الحجر وتهامة وسائر الجزيرة في لهجة

من اللهجات ما دمتا بقدر يحكم الدعاة أن اليمانية وحدوا في الحرية
عربية وراء حدودهم وتكلموا كما يتكلم خقيمون في حوارهم فقد زلت
المشكلة ولم تكن هنالك في الحقيقة مشكلة تزال .

وليس أكثر من العسف الذي يلجأ إليه منكرو الوحدة في لغة الجريئة
قبل البعثة المحمدية بحيل أو ثلاثة أجيال . وأن اعتساف التاريخ هنا
لأهون في رأينا من اعتساف الفروض الأدبية التي لا تقل التصديق . ما
من قارئ للأدب يسبح القول بوحود طائفة من الرواة بلحقون أشعار
الجاهلية كما وصلت إلينا ويفلحون في ذلك التنفيق إذ معنى ذلك
« أولاً » أن هؤلاء الرواة قد بلغوا من الشاعرية ذروتها التي بلغها امرؤ
القيس والنابعة وطرفة وعنترة وزهير وغيرهم من فحول الشعر في
الجاهلية ، ومعنى ذلك « ثانياً » أنهم مقتدرون على توزيع الأسباب على
حسب الأمرح والأعمار والملكات الأدبية فيطعمون بمراح الشاب طرفة
ومراح الشيخ زهير ومراح العريد اعزل امرئ القيس ومراح العارس
المقدام عنترة بن شداد ، ويتحرون لكل واحد « مناسباته » النفسية
والتاريخية ويجمعون له لقصائد على نمط واحد في الديوان الذي يسب
إليه ، ومعنى ذلك « ثالثاً » أن هذه لقدرة توحد عند الرواة ولا توحد
عند أحد من الشعراء ثم يعرط الرواة في سمعتها وهم على هذا العلم بقيمة
الشعر الأصيل ، وما من باقد يسبح هذا المرص برهان فضلاً عن إيساعته
بغير برهان ولغير سبب إلا أن يتوهم ويعرر التوهم بالتخمين ، وإن
تصديق النقائص الجاهلية جميعاً لأهون من تصديق هذه النقيصة التي
يضيف بها الحس ويضيف بها الخيال .

وشأن مع هذا — النقائص التي يسدعها العقل ويبحث عنها إذا

تفقدتها فلم يجدها ، والقائض التي يرفضها العقل ولا موجب لها من الواقع ولا من تفكير السلم .

هذه اسقائض التي تحاول أن تشككنا في وحدة اللغة لعربية قبل الإسلام يرفضها العقل لأن قبوله يكلفه شططا ولا يوجه بحث جدير بالإقناع .

لما يتكلمه العقل إذ تفقدتها أن يجزم - كما تقدم - باقطاع عرب اليمن عن داخل الجزيرة كل الانقطاع ، وأن يجزم بقاء لغة قحطانية لما ظر اللغة القرشية في الحيلين السيقين للغة المحمدية غير معتمد على أثرى ذاكرة الأحياء ولا في ورق محفوظ ، وأن ينفي كل ما توارثته العرب عن أنسابهم وأسلافهم وهم نعمة تقوم مصاحرها وعلاقاتها على الأنساب ونقابا الأسلاف ، وأن يفترض وجود الرواة المتأمرين على الانتحال بتلك الملكة التي تضم أسع الشعر وتنوعه عن حسب الأمجة والدواعى النفسية والأعوار . وأن يفهم أن القول المنتحل مقصور عن لأسايد العربية منطل لمرجعها درب غيرها من مراحع الأمم التي صح عبدها الكثير مما يخلطه الانتحال والكذب الصريح

ومن القائض التي يستدعيها العقل ويستلزمها ويتحد منها حجة لثبوت الواقع في حقيقته أن يحدث الاختلاف في الرواية وإن يتعدر فيها الإجماع بين الرواة . فإن لعقل لا يصدق الأقويل التي يتفرق رواها ويطلب العهد عليها ويعود عليها أصحابها عن الذاكرة ولإسناد ثم تأن متممة في الحملة والتحصيل ولا تتعرض مع البرم وعوامس الأهواء بالاضطرب والحدف والإضافة عن قصد أو نفع السيان والإهمال

فاحتلاف الرواة إذن سبب من أسباب التصديق ، وانما قههم بدعو إلى
الشك أو التكذيب

وقد سمع النقيصين في هذه الحالة فرفضها ولا نرفض لباب الخبر
ومعمره فقد سمعنا ن عمرو بن كلثوم أو الحارث بن حبرة التي
قصيدته في وقفة واحدة . وسمعا أن رهيرس أبي سلمى كان ينظم
قصيدته في الحول وتسمى قصائده من أحل ذلك بالحوليات . وقد
سقط هذه المبالغة كما سقط تلك ولا يرم من ذلك أن يسقط الشعر
لدى بويغ في وقت نظمه بين أقصى الطرفين

ورأى وقصا عن رويتين يصدقها لأن عبد الطرباني الحقائق المعصرية
ونعلم أن تصديقها في الزمن الماضي حد عسير ولو أراد الملقون ، فما يروى
عن امرئ القيس أنه تعجب من إعراص لساء عنه مع وسامته
ومكانته وسأل إحدى النساء في ذلك فقالت له نعم ، ولكن لك
عرقا كأنه عرق كلب . ثم قرأ أخبار وفاته فعلم منها إنه أصيب قبل موته
بقروح تساقط منها حنكه وسمى الحلة التي كان يلبسها من أحل ذلك
بدات القروح . ومؤدى لروايتين معا أن الشاعر كان على استعداد
للمرض الجلى بفساد رائحة العرق لدى بعره ، وأنه لم يرب حتى
استشرى به الفساد في رحته انقصية مظهر في تلك القروح ، ويفتر
ذلك بدوره مع لساء المعصيات عنه وعلة اشاعر علقمة عليه في عبي
امرئته ، فلا يسهل على المناظر في جميع هذه لأخبار أن ينسب تلصيقها
عمدا إلى رواية واحد ، ولا يسهل عليه أن يتلقاها متفرقة ثم يجردها من
الدلالة التي تربط بينها عن غير عزم من الرواة المتفرقين

ورعاً كذب الكثير من أخبار طرفة ولم تكذب قصيدته التي تم في
جعلها على حلائقه التي تنوب عن تلك الأحرار وتعيننا عن محاسن الرواة
على التصديق أو على التكذيب

وهذه القرائن الأدبية هي التي يغفل عنها استشرقون ولا يفتنون بها
لأنهم ينظرون في المصومس ولا إسناد ولا يفتنون في الأدب ولا في روح
الكلام ومصامير التعبير . ومهم من لا يعرف أدب بلاده ولا يحسن
الحكم عليه وهو أدب بلغة التي تلقاها في حجر أمه . فليست معرفته
بالغة العربية كافية له أن يحكم على آدابها وأصاليها ومصامير الكلام على
تعدد لأمرحة والأدواق . ومهم علامة تصدى لوضع المعجمات
الكبرى في اللغة العربية فكتب في مادة « أحد » أنها تأتي بمعنى نام لقوله
تعلى . « لا تأخذه سنة ولا نوم » ومهم من يترجم « أبا بكر » بأبي
العدراء لأنه كان والد الروحة التي نبي بها النبي عليه السلام وهي
عدراء ، ومهم من يترجم الصعب بمصر اليموي أو مصر السعيدة Egypt

Felix قياساً على اليمن التي تسمى العربية لسعيدة Arabia Felix

ومهم من يقول إن التصحية تدل على عبادة الشمس لأنها من
الصحي وما هي في وضعها إلا كالتعدي من العده ولتعشية من
العشاء والسحور من السحرين غير ذلك من توقيت الوحشات والديائع
ميفاتها من الليل والنهار . ومهم من يحسب أن لقصيداً من القصد
فيترجمها بالكلام الذي يراد معناه !

وقد تصدب مهم لهذا البحث الذي نحن فيه عن اللغة قبل دخول
لقرآن طائفة تفتحهم هذه إباحث وهي أحهل نالها من عامة الأميين

الدكتور سنكلر شديبل Thosdale صاحب كتاب مصادر
الإسلام يروي شهادات الناقدين للقرآن الكريم ، ومنها هذه الآيات .

دبت الساعة واشق القمر عن غزال صداد قلبي ونفر
أحور قد حرت في أوصافه ناعس الطرف بعينه حور
مر يوم العيد في ريثته فرماني فتعاطي فقر
بسهم من لحاظ فانك فتركني كهشم المختظر

وتتحد منها قرية اقتباس القرآن بعض الآيات من أشعر الخاهدين
ويصيف الدكتور العلامة إلى هذه الأبيات أبياتا أخرى كقول
القاتل :

أقل والعشاق من خلعه كأنهم من حذب ينسلون
وحاء يوم العيد في زينة لمش ذا هيعمل العاملون

قال الدكتور : « ومن الحكايات المتداولة في عصرنا الحاضر انه لما
كانت فاطمة بنت محمد تتلو هذه الآية وهي - اقتربت الساعة واشق
القمر - سمعتها بنت امرئ القيس وقالت لها إن هذه القطعة من قصائد
أبي أجدعها وانك وادعي أن الله أمرها عليه ، ومع أنه يمكن أن تكون
هذه الرواية كاذبة لأن امرأ القيس توفي سنة ٥٤٠ م ولم يولد محمد إلا في
سنة الفيل أي سنة ٥٧٠ م فلا يمكن أن هذه الأبيات المذكورة واردة في
سورة القمر وفي سورة الصبح وفي سورة الانبياء وفي سورة نساء ،
وعاية الأمر ، به يوجد اختلاف طفيف في لفظ وليس في المعنى ،
وهو في القرآن اقتربت وفي القصيدة دبت ومن البين لو أوضح أنه

يوحد مسألة ومشابهة بين هذه الآيات وبين تلك الآيات الواردة في القرآن هــ ثـت أن هذه الآيات هي لامرئ القيس حقيقة فحيث يصعب على المسلم توضيح كيفية ورودها في القرآن لأنه تتعدى على الإسلام أن أمات شاعر وثى كانت مسطورة في الـوح المـفـوف قـل إـشاء العالم هـ

ثم قال الدكتور بطالب العلماء مسلمين مع المعارضين والمشتبهين بأن قيموا الدليل على أن هذه الآيات مأخوذة ومقتبسة من القرآن وأنها مست من نظم امرئ القيس الذى توفى قبل مولد محمد ثلاثين سنة ولكن يصعب عليه أن يصدق بأن نظم هذه لقصائد بلغ إلى هذا الحد من التفتت والاستحفاف والخرأه في أى زمن من الأزمان بعد تأسيس مملكة الإسلام لتي كانت منسعة الاطراف والأكتاف حتى تقتبس آيات من القرآن ويستعملها في مثل هذا الموضع هـ

ثم يحتم الدكتور كلامه في هذه الشبهات مصطفا الحذر والخبضة مثلاً يشـتـ نظم هذه لأبيات بعد الإسلام فتسقط الشبهه كلها . فيقول إن هذه الآيات ليست كل ما يعترض به المعارضون . لأن ما تقدمه من الأسايد كاف عندهم لتأييد هذه القصية (١)

وأيسر ما يبدو من جهل هؤلاء الخاططين في أمر اللغة العربية قبل الإسلام وعلاقتهم بلغة القرآن الكريم أنهم يحسبون أن عماء المسلمين يلقون في بحث تلك الأبيات وصلاً ووصلاً يسكروا بسببها إلى الخاطلة

(١) من صفحة ٢٥ إلى صفحة ٢٩ من الترجمة العربية

ولا يلهمهم الدوق الأدبي أن نظرة واحدة كافية لليقين وإدخالها
إلى امرئ القيس أو غيره من شعراء الجاهلية

وهذه النظرة الكافية هي التي تعي الناقد المستشرق وهي أصل
وثيق من أصول النقد يعون عليه الناقد في الأدب كل لتعويل ولا
نقدح فيه أن يسع للحدل وأن يجوز عليه الخطأ في القليل دون الكثير
كذلك تتسع سبيل الحدل في إكار نكرة الخير مكتبة الخطوط .
وكذلك يجوز الخطأ في محاكاة الكلمة أو بصع كلمات ولا يجوز في السطور
والصفحات

فإذا نظر حير الخطوط في صفحة من الصفحات فقد تعي به نظرة في
الحكم عليها بالصحة أو الترييف . وربما حار عليه أمر الكلمة والكلمات
إذا لم يكن أمامه غير هذه الكلمة أو هذه الكلمات لمقبلة والمصاهاة .
وبكده إذا حصل على تلك الكلمة المكتوبة عشر مرات أو عشرين مرة م
يكن من اليسر أن يسجدع فيها كما يسجدع في الكلمة المردة غير تكرار ،
وعلى هذا الموال يبدو الصحيح ولريف في الشعر الأصيل والشعر
المدحول . وقد يجوز التزوير في الشطرة الواحدة أو البيت الواحد إذا
امنعت المقارنة بينه وبين أمثاله من تلقى صاحب التزوير . وبكده
لا يجوز إذا كرر الموزر الأبيات ومثل للناصر الناقد طريقته في تزوير هذه
الأبيات المتفرقات .

تزوير الأدب الجاهلي مستحيل

أما المستحيل ، أو شبه المستحيل ، فهو تزوير أدب كامل يسب إلى
الجاهلية وبصطع في حخته بالصفة التي تشبهه على تناير القائل

والشعراء ، فإذا جمعنا الشعر المنسوب إلى الجاهلية كله في ديون واحد من المستحيل أو شبه استحيل أن جمع ديوناً يماثله من كلام العباسيين أو كلام المتأخرين ، وإذا قل العارف بين الشعر الأموي الأور والشعر الجاهلي فذلك آية على صحة العلامات التي تميز الشعر الجاهلي وعلى صحة القراءة بينه وبين شعر الذي لم يهترق عنه أفراقاً بعيداً بزمانه وثقافته قائله ويثبتهم في المعيشة وماسات لتعير فلا يثبت به شعر الجاهلي والشعر المحصرم ، إن لم يكن بينهما ميزان مشتركة ، مع نتائج إلى عشرات الشعراء الجاهليين والمخضرمين

إن الملامح الشخصية التي تميز بين الفردق والأخطل وحريرم يكن ه ثروت أوضح وقوى من ثروت لفوارق لتي تميز بين امرئ القيس وعمرو بن كلثوم ورهير ، فمن يرى أن حق دواوس الفردق والأخطل وحريرم وسع روية واحد فقد سهل عليه أن ينسب شعر الجاهليين جميعاً لا سند له ولا سابقه من مثله في آداب الأمم ولا نصيب له من الدوق الأدبي غير النبو والاستعراب

ورعنا كان «سكندر تسديل» الذي مثلنا به لجهل المستشرقين بالدغة والدوق الأدبي مثلاً صارخاً كما يقال في التعبير الحديث ، ولكن المثل الصارح هو الذي يبرر الحقيقة مستعصية على اللبس والمكابرة ويحيط بما دونه من الأمثلة التي تتردد بين الشك واليقين . وقد أتينا على طائفة منها لا نتحلف عن المثل الصارح بشروط بعيد

سوء فهم وسوء نية

والمعهود في جماعة المستشرقين أن الكثيرين منهم يقررون سوء الفهم وسوء النية لأهم يخدمون سياسة المستعمرين أو سياسة المشركين المهترئين

أو يبطرون في نحوهم نظرة العربي الذي ينظر إلى الشرق نظرة المتعالي عليه في حاصره وماصبه . غير أنهم ماعد القليل منهم محدودون سذجيون يحومون حول المسائل الحسية ولا يتوسعون في النظر أو يتعمقون وراء الظواهر التي يمسها شاهد الحس لمسا فلا تخرج عنه من حدود ما يشته أو ينتبه من وقائع العيان والسماح

فعاية ما يقصدون إليه من أمر اللغة أنهم يلتصقون الإسناد المعتمد عند أهلها فيأخذونها بالشك والتحريح . وأنهم يهدمون الدعائم القائمة ليستحبروا بعد ذلك كل ادعاء يدعونه وكل إنكار يكروه من أصول البقيين والاصمثن . وتشكيكهم في أسانيد اللغة من هذ القليل لا يعدوه إلى مطلب بعيد من مطالب الإحاطة والاستيعاب . فهو كالممارع الذي يسكر على صاحب لدار وثقته ولا يعدوها إلى ركان الدار وما في الدار وتقديرهم لمسألة الشك في وحدة اللغة أقل حدا من قدرها الصحيح في مقدمات الدعوة المحمدية ، إذ هي أصلح هذه المقدمات للدلالة على ما بعدها ، وأصدق في التمهيد لتأنيها من مقدمات السياسة والأحداث الاجتماعية . لأنها المقدمة الوحيدة التي تمشي في طريق الدعوة المحمدية مساوقة لها مترفة لأراسها . ولا تكون الدعوة للمحمدية بالنسبة إليها كأها رد الفعل الذي يقاوم ما قبله ويحوى معه بحرى النقيض من النقيض

الفخر باللسان العربي

بـ الشعور بالعربية والفخر باللسان العربي مقدمة لابد منها للدعوة التي توجه لعرب بآية البلاغة في القرآن الكريم . وتروعههم بالمعجزة التي يحكمونها إن استطاعوا أو يحسبونها من قدرة الله

مثل هذا التحدى بالبلاغة لا يحدث في أمة لم تتأصل فيها مفخرة
لنسان لعربى وواحدة العربية جيدين أو ثلاثة أحياء ، ولابد - مع
ذلك - أن تكون متحاقربا أو شعورا فيها لم يتناول عبه العهد مثات
لسنين ولم تذهب روعته بالآلفة وفنور لنسان

ووحدة البعة الفرشيه أو الحجارية لا تصح من مفاحر العرب جميعا
كرامة لقريش أو لأرض الحجار . ولكي حليقة أن تسرى الى نفوس
لعرب من حيث يشعرون بالعروة الموحدة عالية لرأس عبر مسكينة
سلطان من « العجم » على الخصوص

والكمة هي الحوار الوحيد لدى بشر عبه العرب هذا الشعور
فهم في اشام رعيا دولة الروم . وهم في اخيرة رعيا دولة
نرس . وهم في اليمن أناع للحشة و لمارس و رعيا لسلطان يديهم
المدة كما يديهم لملوك العرباء

وكهم عند بيت الله في حرم الله يقنسوه جميعا لأنه لهم جميعا
يصمهم إليه كما يصم أوثامهم وأصامهم ورباهم الذين يلودون ويأوون
إله . فكلهم من معبود أو عابد في حمى من لكعة لاهم في بيت الله
وشعورهم هنا ناهم « عرب » لم يمثله شعور قط في أنحاء الجزيرة
عربية . وقد أوشك أن يضمن شعب اليمن وحمهرة أقوامه على الرعم
من سادته وحكامه . فما كان هؤلاء حكام ليمسو على الكعة مكاهها
ونقموا لها نظيرا في أرضهم لو كان شعب اليمن مصريا عنها غير معتريا
كاعتزاز السادية والصحرء

وحدة الكعبة

وقد وافق ذلك روال عرش لحيمة وروال عرش حمير واستكامة
العساسنة في لشم تارة لثروم وتارة للفرس بلا ولاء هؤلاء ولا هؤلاء .
ولا بقية من الفجر هم غير أنهم عرب ويسوا من هؤلاء ولا هؤلاء .

وأن بقاء الإسلام على مكانة لكعبة لدليل على هذه المكانة ودليل
على حكمة الإسلام في الاحتفاظ بها للعالم الإسلامي وفي متعة العمم
بعد عمله الأول في الجزيرة العربية

ونكاد نقول إن العرب أقبلت على لإسلام أقواحا حين صارت
الكعبة إلى يديه وأصبحت عاصمة العروة عاصمة لمدين الحديـ

ولو لم تكن لمعرب وحدة معروفة بينهم قبل البعثة الإسلامية لما عترو
بالميت الجامع هم هذا لا عتزار . وما وحدة أقواء متقاتلين متنازعين
مأخوذين بعصية الأجداد والعشائريـ لم تكن وحدة اللغة ووحدة الفجر
بسان مبين يتيهون به على « العجم » أجمعين ؟

قال سترابون إنه وجد الأقوام في بلاد العجم تتفاهم لغة واحدة ،
وهي بلاد تعاقت عليها سلالات الآريين والطورايين والساميين . وقال
في روايات شتى إن الحاميين وصلوا إليها في زمن قديم كما كانوا يصلون
إليها وسجمعون فيها بعد لإسلام بعد فروب ، وم تكن عوامل ابوحده
اللغوية بينهم أقوى من عواملها في حرية العرب ، وم يخلص عليهم من
الرمس ممترجين متقاربين أكثر مما مضى على القبائل العربية التي من عاداتها
الترحل والانتقال من مرعى إلى مرعى ومن حوار إلى حوار

وفي زمانها هذا - من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين
لا يرى أحدا يستعرب نخصب النجوم في حرائر بريقط نبعة و حدة وفيهم
لأيرسديون ولأيقوسيون و بعدون . وفي كل أمة من هذه الأمم حصاء
مفوهة وشعراء مشهورون بحسبون العسكرية معنومة ومشورة وفي محام
خطابة والبيان ولا نرى أحدا يستعرب ذلك في بلاد الإسبان ومنهم
نقشالبون ولناسكيون . ولا نرى في مصرها من يستعرب البيان العربي
المصحيح ، إذ سبب أن لغة من أبناء هذه تنفاهمون في أفهم سوي
مرطانة لا يفهمها سائر لمصريين . فلا موجب للإكثار لنظم والكلام
بعة واحدة في جزيرة العرب فإن لغة خمسينه ثمانتي ستة أو أكثر من
دلت مع عجز مكربين أن أتوا بشاهد من لغة الأخرى التي بقصر صوم
وبكروا توحيد البعة من أهلها . ومع توفر الأسباب الموحدة في جزيرة
لعرب على حكوم عهد في غيرها من بلاد العرب القديم . ولا تكفي كلمة
أو كتاب للحكم بالانصاف البعات . فإن الإقليم في قطر واحد
لا يتفقان في جميع الكمات

من تشاريح اثبات أن أبناء الحبوب ، ينقصون عن الشبان ومرب
هم ثمر مكتوبة في الآب وقد وجدت بعض هذه الآثار ماحط
خوبى وأبعض الشبهة مما يدل على تشابه الكلام والصق مع لغة الكنة
نخط الحبوب

وحدثت في تاريخ حبوب حوادث متعاقبة تمت رعاية الشبان من
اشبان وحجعت أهل الحبوب نعا هم كلما وفدوا على الشبان . وحدث
بعد قيام الدولة العلية التي ردهرت في القرن سابع للميلاد ونعمن

رواها وعارها في العرب كي صهر من بعض بقوشهم في بحر حة وفي
إيطاليا الخيرية

وقد كان من اسباب ضعف الحروب وقيام دولة سبط في لشب
اصطربت بلاد اليمن بعد حروب الإسكندر واحتياجه دولة فارس في
كان في الإشراف على حكومة اليمن وعارها ضد وشرق عامه في لأفطار
العربية . وبعد انهيار سد مأرب وساء القرصنة في خليج العجم وبحر
العرب والبحر الأحمر فعلت طريق بقوئل لبي بحر بالحجار عن
جميع الطرق الأخرى وتغارت اتصاله بين اسط والحد بين وأحد
الحجاريين بالحطة الأوسطى التي تنقى عندها سبل الحروب والسياسات
وشرق والعرب في كل بقعة عربية لم تكن بمصر حماية عليها .
واشتعلت الحروب بين للحميين على جميع العجم والعباسية في بادية
لشام وعصر الأمان أو كاد على طريق الحجر . وحتاج السمان
المسار صاحب الخير - إلى دعماء مصر لحماية بحارته داخل الحرية إلى
مكة . فكان من أسباب يوم محلة أنه أراد رجلا بحير قوامه على أهل نجد
فتارعهما البرص وعروة الرجال سيد هارب . وقال له هذا إيه بحيرها
على أهل الشح والقصوم في أهل نجد وثامة . ثم سلت الحرب
ماحتكم الجميع أخيرا إلى سيد من سادات مكة عبد الله بن جدعان
وانصت عدة قرون على اتصال لسط والحجر ، وعمل
الحجاريون على تعظيم شأن الحجر بين السطيين فوضعوا في لكعة تماثيل
أرادت بعندها السطيون بعد منها الرواة هل واللات ومائة التي قيل إنها
من « المسة » بمعنى « القدر القدر » معبود السطيين ، وقومهم حانت مسته
وكان قدره معنى واحد عند عباد مائة

ولا شك أن قصة « عمرو بن لحي » التي اتفقت الأحبار على أنه
 فعل الأصم من بلاد السطرى الكعبة إنما هي وسيلة من وسائله لتعظيم
 شأن الكعبة عند أهل الشمال وييسرهم بها كلما رحلوا إلى الحجاز وتقريب
 ما بينهم وبين شعائر بيت الحرام . وهم جميعاً حريصون على تحريم هذه
 الشقة وحمية روادها من كل قيل

ونحظر من ذلك كله أثر في إعطاء شأن الكعبة لها المصحرة لقومية
 وحرمة الإلهي الذي بنى للعرب بعد سيادة الروم على عمان ونقل الحشة
 وفارس على اليمن وشعور الحميين - سادة بحيرة - أنفسهم بمناعة
 الكعبة ومناعة الطريق في أيدي مصر ومن بواسطتها . وهو أن سلطان هؤلاء
 للحميين حتى آن هم لأمر في ثندور . ثم جاءت وقعة ذي قار التي
 تنصر فيها العرب على الفرس بعد زوال دولة الحميين وقضاء الفرس
 عنها ففرت الحرية من أقطابها إلى أقطابها وبنت على نخوة قومية عربية
 حكمت من نفوس لقاتل جميعاً فاشترأت أعزها ربما إلى كل ملاد
 تقصر عنه أيدي فارس والروم

هؤلاء القوم الذين يفخرون بأنسابهم في بينهم ويفخرون بحسبهم
 بين سائر الأجناس . قد جلبت أمة عندهم محل العرش والدولة ومحل
 السدح والخصارة ومحل العلم والصناعة . حتى أصبح الفخر بها علامة من
 العلامات التي يتميرون بها في عرف علماء الأجناس البشرية . فإذا وجد
 لمحرمانه فتئت علامة العربي من العناصر عامة من أقاليم الساميين إلى
 العرباء عنه من الآريين والصودانيين والهاميين . ثم تتجلى فيهم - دون
 سائر الأمم - تلك الطاهرة الفريدة في تواريج الأديان والثقافات ، وهي

العلو بالبلاغة حتى تكون البلاغة في قسطاس كل مخاطب بالقرآن الكريم
تحديا سوريا ، وتحديا ربايا ، من محجزات الإله التي لا تتسامى إليها قدرة
السعاء في أمة النسس والبيان

وهذه ظاهرة متحلية للطر القرب والسعيد لا تحتاج من المستشرقين
إلى بحث عن مجهول أو معيول فما ينبغي ، لكاتب هذه المعجزة لأمة حلت
من مآثرات البلاغة في شعره وجميع كلماتها ، وما هو خائر عقلا أن
يتحداها القرآن وهي لا تعرف من كلامها شيئا يتجه إليه ذلك التحدي
ونددو عليه موروثة في عرف الخبراء بالكلم اسبيع فانقياس المستقيم أن
القرآن قرب في قوم لهم بلاغة موروثة يتناقلونها ولا يجهلون أعلامها ، وأما
يقول بأن بلاغة الخهنية لم تكن حقيقة وقعة وإنما صطعها برواه
اصططاعا بعد الإسلام سدد بالقرآن ودفعها بشبهات عنه بين المؤمنين به
فيس من انقياس المستقيم في مقياس غير مقياس أولئك المشرقين وما
كان لجاهلي الكمر يقبل آية القرآن ولا يشت في فصاحة القرآن ثم يأتي
مسلم المؤمن فلا يشت في فصاحته بقرآن إلا بكلام يخلفه حينما يسب في
أولئك جاهليين . وقد حدث نقص ذلك في كثير من أشوهد على
صحة المعة وسلامتها . فكأن لقرآن مرجع لمصححين فيما يختلفون عليه
وسنوعون به سلا لا وراء فيه

ومنها سبع من ضعف الذاكرة بالعادة ولست هي بالصعيفة
فلن يلد من سبها أن بسقط الخد عن أحبار به وأحبار به . وأن
بسي لغة سمعها في حياته أو سمعها أبوه قبل مولده . فما كان حبال أو
ثلاثة أحبار بالامتثال العير بذاكرة قوم لا معول هم على غير اندكرة
ورواية الأحلاف عن الأسلاف . وأنه ليمتنع ويستحيل أن يشأ الإسلام

في حيل يجهل اللغة التي تسب إلى شعراء المعلقات وأقدمهم م يسق
 حيل الإلام بأكثر من مائة وخمسين سنة ، وفي هذه السير خاصة
 نوجد حسب التاريخ وتولاه فلامس العرب وحالموا فيه تفورم يهود في
 حساب سبيء فكان حاده بن عوف ناسبا عند ظهور الإسلام ،
 وسبقه نوه عوف بن أمية وسبقه أنوه أمية بن قلع وسبقه أنوه قلع بن
 عباد ، وسبقهم آخرون إلى عهد لقلمس من بني كنانة ، فهم في تاريخ
 معلوم متسلسل قبل الإسلام بأربعة أجيال

ومن فهداة المستشرقين هؤلاء أنهم لا يحدرون من تاريخ العرب
 مصعب بصيصونه غير اللغة والأسباب ، وكلهم يتحدقون على العلم في
 سكوكلهم المؤكدة بالتاريخ العربي أو الإسلامي من أقدم عهوده ، ثم يأتي
 انعم فيشب ذلكشوف المحسوسة صدق الخرافة المزعومة وكذب العمماء
 براعمين حتى لقد أصبح لتحريف حقا هؤلاء الخققين الذين لا يعرفون
 من التحقيق إلا أنهم كل روية عربية أو إسلامية بالتحريف

من أقطاب هؤلاء مخرفين من أنكر عاداً ونموداً وأنكر الكوارث التي
 أصابهم بغير حجة إلا أنه يحسب أن المسكر لا يطالب بحجة ولا يعاب
 على السبي الخرف لما شوا طويلا حين سبهم ب عاداً (Oadita)
 ونموداً (Thamudida) مذكورنا في تاريخ بطليموس وإن اسم عاد
 مقرون باسم أرم في كتب اليهود ، فهم يكتبونها « أدراميت » Adramitae
 ويؤيدون تسمية القرآب ها بعاداً أو دات لعاد وعمر المقتب
 مورين ، لنشكى Musil (١) صاحب كتاب الحجار الثمالي على آثار

(1) Northern Hejaz by Musil.

هـكل عد « مدين » مقوش عيه كلام بالحضية واليوانية وفيه إشارة إلى
قبائل ثمود

ومن قطاب هؤلاء مخرفين من أنكر برمه ولكنه جيشه وهنائه
تتصيل الكعبة وسائه لقيس في صعاء لصرف عرب عن الكعبة بها
ثم تكشف المقوش عن سمه عن حراث سد مأرب ملقبا بالأمير الحشبي
من قبل « مسك الحبيشة وسياً ويريد وحصر موت وإقامة وعرب لوعر
والسهل » ويتوتر الخمر عن الحدرى الذى تقش في منتصف لعرب
السادس للميلاد فيذكره بروكوب (Procobe) من وزراء
القسطنطينية . وبيروى برحالة بروس (Bruce) لذي رار بلاد
الحبيشة في القرن الثامن عشر أن الأحباش يذكرون في تواريخهم أن برمه
فصد إلى مكة ثم اتدعها لما أصاب جيشه من المرض الذى يصوبه
بصفة حدرى . ولا يقل عن هذه لأساييد جميعا منذ التاريخ بعاء
العيل قبل البعثة المحمدية بحيل واحد . بل أقل من حيل

وسد مأرب برمه لم يلم من لكذب . وبناء قريش للكعبة بعد
مولد لبي هو أيضا مخرف في رعب هؤلاء المخرفين وبكه لبي من يدحسه
من المؤرخين لأوربيين المعاصرين . فكتب كررويل تحقيقه لذي يقوى
فيه « إن العالم ليوى كابتى يذهب إلى القول بأن قصة عمير فرشر
بكعبة ليست إلا خرافة من نسج الخيال . فاللوم بشت لى حلي بعد
ما أوردناه من الحقائق من ساء لكعبة على الطراز الحشبي في سنة ٦٠٨
ملاكية ووجود الصور المسيحية التى كانت تحلى بطنها وفيه معبر حشبي
سائها . وهى جميعا حقائق متمسكة بأحد بعضها برقات بعض صدق

رواها ، المؤرخين الذي تصوروا أحبار هذه العماره وصحة مذهبهم إليه وبطلان ما يدعيه كتنالي من اختراع هذه القصة وتلفيقها ،^(١)

ومن ثقب هذه التواريخ عند حدها ولا نجاورها مذهبها ، فحسب النظر في التاريخ أن يفهم منها أن حمار العرب عن لغتهم وعن نواتلهم لا تدحض حملة واحدة ، وقد يحاط بها المبالغة وتتناقض حولها العرائب ، بل ربما كان من دواعي إدحاضها أن تبرا من كل مبالغة وعراة ، فأما الكذب الذي يعاب على العلم ويلحقه بالخرافة فهو هذا التحقيق الذي هو أهون وأضر من التحريف

• • •

إن الحوادث الكبرى ستدعى المقارنة بين فهمها بمقاييس العلم ومقاييس الفلسفة ومقاييس العقيدة ، ونوحى إليه في جميع الأحوال أن مقاييس العقيدة أحلصها إلى أعماقها وأفسرها على التفسير كلما استعاشت العقيدة في الأهم قوة الحياة وقوة الصميم .

وإسلام قد استقصى تاريخ العرب قبل دعونه وجمعه كله في الوحدة القومية وقام هذه الوحدة على ركنيها اللذين لا قوام لها بغيرهما على تسامد واتفاق ، وهما ركن البعثة وركن الحرية الدينية ، وكلاهما كان تمهيدا صالحا لظهور الدعوة الإسلامية .

إلا أن معجزة الإسلام في جميع مقدماته ونتائجه إن هذه لتنتج لم تكن قط منقادة مسخرة لتلك المقدمات ، فإن هذه العصبية الدعوية

(١) مجلة التاريخية المصرية ، عدد أكتوبر سنة ١٩٤٩

لديبة قد الت في يد الإسلام إلى دعوة إنسانية عالية لا تنكر شيئاً كما تنكر
العصية الحامسة . ولا تعرف رباً غير رب العالمين ولا قسطنطين غير
قسطنطين العمل لصالح يتفادى به لقرشي والحشبي والعربي والأعجمي
وعزة النبي ومن ليست بينه وبين النبي لحمة غير لحمة الإيمان .

ويعود فقوب إن شأن اليهودية في توضيح هذه الحقائق أعظم من كل
شأن لها في الجزيرة العربية . فما لأبراع فيه أن أساساً من اليهود قدموا إلى
الجزيرة بلغة عبر اللغة الحجازية فاحتضنوا بلغة الدين للدين ومن عص
عليهم ومن طويل حتى عم انتقامهم بينهم وبين سائر العرب بلسان الحجار
ومهامه ونجد ومن حاورهم من الأساط وعرب الحيرة ونادية الشام .
وهذه حقيقة تاريخية واقعية مسقطه بكل دعوى يتحدث بها أدعياء العلم
من محترفي التبشير والاستشراق .

المسيحية في الجزيرة

أما المسيحية فقد كان لها مدخل إلى الجزيرة العربية عبر هذا المدخل
فلم تصل إلى داخل الجزيرة عشيرة كبيرة أو صغيرة من المهاجرين ، ولم
يأتها قوم بلسان غير بلسان العربي كما حدث في هجرة اليهود ، ولكنها
شاعت بين قبائل من العرب في جزيرة الدون التي سيطرت على أطراف
الجزيرة ، وهي بيزنطية وفارس والحشمة ، وكان لمذهب النجاشي القائم
بالأمر في دولة بيزنطية أثر كبير في توحيه اسجل والمداهب في بلاده وبلاد
أعدائه . وقد حدث في مدى قرن واحد أن العوامل كانوا يحرمون
المسيحية على رعاياهم ثم دأبوا بها على مذهب وحاء من بعدهم فدن بها
على مذهب يعاديه ويرميه بالكفر والزبدقة . فمن شاء أقام مع النجاشي في

بلاد طائعا له أو مداريا لأمره ولا هي بلاد أعدائه من الفرس مسخ له
يعمل فيه مذهبهم وينطق في سعيه اعامل وشيعته غير مألوم ولا ممنوع

وأقلت إلى تحرير العربية اتحاد من كل بحلة مسيحية عصب عليها
عامل القسطنطينية . فحدثت إليها فئات متفرقة من أتباع آريوس
وأوريجين وسطور ولوسيان الأنطاكي وجماعة مشبهين وجماعة انقائين
بأنطبعة الواحدة والقائلين بأنطبعين

وكان تسطور يضرب بالقسطنطينية بشر مذهبهم بيأس الدولة ثم عرب
وتنقحه حصومه بالنسبة إلى أرض سونة . ومجوز مذهبهم أنه يفصل بين
لناسوت و اللاهوت في السيد المسيح ويرفض القول بتأليه العذراء عليها
صوت الله . وكان الأنطاكي يافض تفسير الكتب الدبسة بأسلوب
المحارات ولرموز ويلتزم اللفظ واضع في فهم معانيها ومساكنها العبية
وكان آريوس يقول إن لكلمة هي وسطة الحق ويقول أوريجين إنها
مخلوق محدث له اشرف على سائر المخلوقات . وإن هذه الكلمة
تحسنت في السيد المسيح فظهرت على مثل الإنسان . وآخرون يقولون
إن حسد السيد المسيح تشبيه بالحسد وليس بالحسد لما أدى إلى بحكي
حسد لإنسان . وإبه في لاهوته أحل وأرفع من أن يعدد أو يتصرع .
وصيخته عند الصلب لم تكن « ربي ! ربي ! » بل كانت : « قوتي !
قوتي ! كما ورد في بعض النصوص .

ويعترف جورج سيل مترحم انقرا بما كانت عليه حال المسيحيين في
البحار من لسوء وبصلالة . فيقول في مقدمته للترجمة « من المحقق أن
ما لم يكنيسة لشرقية من الاصبهاد واحتلال لأحوال في صدر المائة

الثالثة للميلاد قد اضطرك كثير من بصادرها أن يتجأو إلى بلاد العرب
 طلبا لحرية وكان معظمهم يعاقبة فلدا كان معظم بصادري العرب من
 هذه لفرة وأهم لمائل لتي نصرت حمير وعسال وربيعة وتعب
 وسراء وتوحي وبعض طيبي وقصاعة وأهل حرون والحيرة ولما كانت
 انصراية هذه لشاة من الامداد في بلاد العرب لرم عن ذلك ولأنه
 كان لمصدي ساقفة في موضع حمة منها لتنظم لهم سياسة الكنائس
 وقد تقدم ذكر سقف طعار وقال بعضهم كان حرون مقام سقف وكان
 بيعافه سقف يدعى أحدهما سقف العرب بإطلاقي للفظ وكان
 مقامه بأكوة وهي بكوفة عند بن العيرى و بلدة أخرى بالقرب من
 بغداد عند أبي لهداء ، وثانيها يدعى سقف العرب لتعسين ومقامه
 بالحيرة أما السطرة فهم يكن هم على هدين الكرسيين سوى سقف
 واحد تحت رئاسة بصربركهم .

إلى أن يقول « أما الكنيسة الشرقية فيها أصبح بعد انقراض
 اجمع لنيقاي مرتكة بمناقشات لانكاد تفصي وتنص حسبها
 بما حكات لأريوسيين والساصرة واليعقوبية وغيرهم من أهل لدع على
 أن الذي ثبت بعد البحث أن كلا من بدعتي الساصرة واليعقوبية كانت
 بأن تدعى اختلافا في التعبير عن معتقد أولى من أن تدعى اختلافا في
 معتقد نفسه ، وبن تدعى حجة سمعت بها كل من مسطرس على الآخر
 أولى من أن تدعى ساموحا لانتظام مجمع عديدة يتردد إليها جماعه
 القسوس ولأساقفة وينحكون ليعلى كل واحد منهم كلمه ويخيل بقصبا
 إلى هوه ثم بن نافدي الكلمة منهم وأصحاب المكاة في قصر المذبح
 كان كل واحد منهم محض بصر من قواد الجيش أو من أصحاب خطط

يكون له عيهم الولاء ويتقوى هم . وبذلك صارت المناصب تملأ
 برشي والنصفة تناع وتشترى جهارا أما الكيسة العربية فقد كان فيها
 من تهالك دماسوس وارسكيوس في شسحة على مصب الاسقفية
 أى أسقفية روته ماأقصى إلى احتدم نار الفتنة وسلك الدماء بين
 حرييها . وكان أكثر ماسأ هذه المناقشات عن القباصرة أنفسهم
 ولاسيما القيصر قسطنطيوس فإنه إذ لم يقدر أن يميز بين صحيح الدين
 المسيحي وخرافات العجائز رث الدين بكثير من المسائل الخلافية .
 هذا ماكان عليه حال النصرانية في غير بلاد العرب . أما في بلاد هذه
 الأمة التي هي موضوع بحثنا فلم تكن خيرا من ذلك . . . فكان في
 نصارى العرب قوم يعتقدون أن النصر نمت مع الحسد وبشر معه في
 اليوم الآخر وقيل إن أوريجانوس هو الذي دس فيهم هذا المذهب . وكم
 وكم من بدعة انتشرت في جزيرة العرب حتى لا نقول نشأت فيها ؟ ! من
 ذلك بدعة كان أصحابها يقولون بألوهية العذراء مريم ويعبدونها كأنما
 هي الله ويقربون لها أفراسا مصفورة من الرقاق يقال لها كليرس وما سمي
 أصحاب هذه البدعة كبيرين . وفصلا عن ذلك فقد جتمع
 أيضا في جزيرة العرب عدد وافر من الفرق المختلفة الأسماء لحأوا إليها هربا
 من اضطهاد القباصرة .
 والحالة التي تمتت بها النصرانية في جزيرة العرب لم تكن حالة هداية
 يحيط بها مذهب واحد صالح لتعليم من يتعلمه ، بل كانت شيعا سياسيه
 ومذاهب متارعة يتوقف العلم بالصالح منها على مدى الماطرين فيها وعلى
 ماعندهم من البصر لثقاف ولهداهة المنزهة التي يعود إليها الفصل فيما
 نقله ونأه . ولا فصل عليها لن يعلمها محنة من تلك النحل تقدح في
 سائرها وترمي الدين يشعونها بالكفر والصلال .

ولقرآن الكريم يصف هذه الحالة بين أهل الكتاب جميعا كما جاء في
سورة المائدة عن طوائف اليهود والنصارى

قال عز من قائل : « ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم
اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لن أقيم الصلاة وآتينم الزكاة وآمنتم
برسلي وعززتهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لا كره من عنكم سيئاتكم
ولأدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد
ضل سواء السبيل ، فما نقضهم ميثاقهم لعاههم وجعلنا قلوبهم قاسية
يعرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على
خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ،
ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به
فأغرنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسرف بينهم الله بما كانوا
يصنعون »

هذه حالة النصرانية في الحجاز كما عهدتها لبي عليه السلام قبل
مبعثه . وهي هذه المثابة من مقدمات رد الفعل لآمن مقدمات التمهيد
والتحصير ، سواء كل ذلك في أمر النبي وأمر الحكماء من طلاب الهداية
الذين عرفوا باسم المتحفين أو المتحشين .

وينبغي لأحذراس من قو القنيلين إن أحدا من أولئك المتحفين أو
المعتصمين تنصر أو تهود على مذهب بمصل مستوعب لمقائد النصرانية أو
اليهودية . فكل ما يصح من أحذر الحفء أنهم كانوا يعرفون أن الإيمان
بالإله الواحد أهدى وأحكم من الإيمان بالنصب والأوثان . « بحسب
بن هشام قد صدق الرواية حقا حين قال عن أشهر هؤلاء منحه .

يدين عمرو بن لحي أنه وقف وم يدخل في يهودية ولا نصرانية
فارق دين موته فاعتزب الأوثان ومبته ولد صالح انتى تدسح على الأوثان
وسى عن قتل المؤمن ودة وقال أعد رب إبراهيم وكان يسد ظهره
لى الكعة ويقول يا معشر فرس ! والذى نفس ريدس عمرو بيده
ما صبح منك على دين إبراهيم عبرى ثم يقول اللهم لو أنى أعمرى
الوجه أحب إليك عندك ولكنى لا أعلم

ومثل من بيل ورقة بن نوفل الذى قصدت إليه السيدة خديجة
تسأله عن حبريل الذى ينطق النبى عليه سلام باسمه أمامها ، فإيه كان
بيل لقراءة فى كتب اليهود والنصارى ويعبر أن عباده الأصنام صلاة
فيمس الهداية فى غيرها ولا يستوى العلم ولا الإيمان بأى الديانت .
وعاية الأمر فى نصرانية كما قال ابن هشام أنه « كان نصرانيا تشع لكتب
وعبر من علم الدس وقد ذكر عنه مع ثلاثة من صحابه . أحدهم
ابن بيل - أنهم كانوا انصرفوا من عند صم يعطموه فى يوم عيد
فقد بعضهم بعض « تعلموا والله ما قومكم على شىء » لقد أخطأوا
دين أنهم إبراهيم ما حشر طيف لا سمع ولا نصر ولا بصر ولا يسمع
بأيام ! « تنو لأفصكه فاكم والله ما أنتم على شىء »

قال ابن هشام فتفرقوا فى السدان يتسوا خيمة دين إبراهيم

وبن نعم من لقرآن الكريم أن لمشركين كانوا يقولون بهم لم يعدوا
لأرباب والأوثان إلا ليمروهم إلى الله رلى . وسرى فى الكلام على
لكعة أن حقة لى سفت عثة لى شهدت طوائف من المجهدين فى
عبادة مهم طائفة لحمس لى احتضت الحرم وحده بالقدس

وتسكت بصروب من العبادة لم ينفعها أحد من قديم في إلهاميه . وقد
كانت حقة إدر حقة حائره بين العبادات وم تكن عبادة مها تستأثر
بصمير صاحبها أو تعبته عن الطريق غيرها . وقد كانت هذه الخبرة في
حانف من جوانبها على الأقل أثراً من آثار الجامعة القرمية أو أثراً من آثار
الشوق إلى ديانة جامعة غير ذبابة لأصنام مسخرة لكل قبيلة من قبائل
صم تنفرد به أو تميره بين زمرة الأصنام المشتركة

وقد كانت الصائل تعد أصنامها وم تكن لها حاجة إلى الاشتراك في
عبادة واحدة تشملها . فما وجدت هذه الحاجة لمسوا سقف في كل
عبادة من عباداتهم وذهب أصحاب النظر منهم يبحثون عن الدين
الصالح ويستهمول من كلمة « بيت الله » قبسا بقومهم من الله ومن ديانة
رب البيت ودينه إبراهيم عليه السلام . وقد بنا سب الحارثيون أنفسهم
أن إسماعيل من إبراهيم وسبهم إليه أصحاب النيرة وعداء الأنساب

ون اصدق وصف لبحالة الدينية في عصر البعثة الدسة لها حالة
نقص في كل بحنة وكل عقيدة . هم نعم من أحرار لثنية قط أنها كانت
ستوعب المؤمن بها وتمعه أن يأخذ بعض الشعائر من هنا وأب بعض
بعض الآراء من هناك ولم تكن لحدود بين البحن ولعادات الدينيه
متحجرة مستقرة على قرر لا يآدن بالتدين والريادة والتحرير . ولم يكن
المتدين منهم جميعا يتسه إلى الابتداع في أمر الدين إلا أن يسومه الخروح
على قومه والرياية بشرعة الآباء والأسلاف فيرشد تنقلب المسألة من
تصرف في الشعائر والآراء إلى البحوه العصبية والبيرة على الأحساب
والأنساب . وتصطدم لدعه الحديده إدر بالعصبية القويب كنها في

إبان اليقظة ولطمرح . وهذه الصدمة لم تفاحي 'ساء الخاهية قط من
حيلة يحكونها أو يستحيون لها يحكم مسيرة و محاراة ، وإنما فاحاتهم من
دعوه الإسلام وحده فتمردوا عليه دهان مع العصية وثرث الحسب
والسب ولم يتمردوا عليه دباد عن مدة شاملة تستأثر مهم بالضماير
والأفكار

فالوحدة لقومية مهدت للإسلام إلى حد محدود ، ويسرت له الأمر
بالتوقع والانتظار ثم وقعت دون العانة حين اصطدمت القومية بالدعوة
الحديدية ووح ' تنوب الدعوة الحديدية إلى قوة أكبر من قوة القومية
التي اعتر بها المشركون وحلطوها بما أنفوه من السيادة والمصلحة في
الراث القديم .

فالوحدة القومية تمهدت طريق الإسلام ، وقوة الإسلام بررت من
الوحدة لقومية شريعة لإسار وعمادة رب العالمين

ولم يذكرها تقدم عاملا من أشهر عوامل هذه الوحدة القومية وهو
يوم دى قار الذي انتصر فيه العرب على الفرس وارجحت له حزيمة
العربية بانصحر والأمل في مطلع لعصر الإسلامى وعند ولادة النبي عليه
لسلام .

لم يذكره لنصحه كما وضعه أناس في مقدمة العوامل الكبرى ،
ولاسباه ما لحبه منها ولاقدمه عليها ، فلو لم يكن يوم دى قار
لكاب الوحدة العربية وكاب نوابعها التي حققت بها في أواسها ولعن
وثمة دى قار جاءت بعد لوحدة القومية ولم تسبقها ، ولعلها كانت
الحولة الثانية بعد الحولة الأولى على تخوم لدولة الفارسية ، فلي تنازع

أمراء الحيرة وشواهين يدونة عست الدولة على لإمارة وقضى الأكاسره
والشواهين على المنادرة وسعهمي ، ولما لتقت سطوة فارسية وكوة
عربية في الحولة الثانية طمرت انقائل حيث أحقق الأمراء

كانت ذو نار وبيدة لسحوه العربية ولم تكن أمها التي ولدتها ، وإنما
كانت أم الأمهات في هذه الهبة وحدة اللسان ووحدة الحان

• • •

النبوة المحمدية أوائل النبوات

مدع الآن هذه الوحدة ريثما نعود إليها في الكلام على الكعبة المكية .
وارجع تاريخنا إلى أوائل لسيرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حتامها برسالة
المحمدية . فإن تاريخ النبوة من أوائلها أصبح المقدمات لبيان فصل النبوة
كما بحث بها خاتم الأنبياء .

من قديم الزمن وجدت لرعاة في العلم ماعب واستطلاع
المجهول . ووجدت لذلك علامات كثيرة يتفق عليها الناس عامة من
قبيل رحر الظير والتعاؤل بالكلام بسعوع والماطر حتى تنشر بالحير
والسجاح أو تنذر بالشر والحيلة

هذه العلامات العامة كانت معروفة شائعة بين الناس لا يختص بها
أحد منهم دون غيره . فكل ماعرفه الناس قديم من علامات التعاؤل أو
علامات التشاؤم فهو ميراث الجماعة يشاقلونه على وتيرة واحدة من الآباء
إلى الأبناء .

نكس الرعية في استطلاع العيب ومواجهة المجهول لم نكس كلها من
هذا لقبيل ، ولا سيما المجهول الذي يعرفه الأمة وحدهم ولا يكشفونه لغير
مقرئين من عبادهم . وهم حذرم معاندتهم والأمناء عن مشيتهم
والمرقبون لوجيبهم في بيلهم وسهارهم . فري عرص لقبيلة عارص حسيم
لاتعرف وجهتها فيه . ولا يلما على هذه الرحلة ظير يراه فرد من أفرادها

على صورة من الصور . أو كلمة تسمعها من غير طريق يستوحى منها
 لشاره أو الإبداء . فإن شئوا الفرد غير شئوا القبيحة . وليس للفرد من
 عامة أفرادها أن يدعى لنفسه القدرة على سؤال أربابها والفهم عنهم في
 معادهم ومحاريبهم . مع وجود الكاهن لدى انقضاء الخدمة الأرباب
 وورث هذه الخدمة من آتائه وأحداده في أكثر الأحوال . ولا مع وجود
 الكاهن لدى تربي من صباه في مهد المعادة ليقرب من الأرباب
 المعبودين ويفقه عنهم من إشاراتهم ومصابيح وجههم ما يحى على سواه

ومن قديم الزمن أيضاً وجد لكاهن « المختص » و « واحد » للرأى »
 منهم لدى بختره الإله لسطر بسامه وأخبر بوعده ووعده . ولم يكن
 بين عمل لكاهن وعمل الرأى نقص في مد الأمر . لأن كلام الرأى
 كان يحتاج إلى تفسير الكاهن وحل رموزه وبني « النهاية » من حظه
 وصبره إذ كان الغالب على الرأى أنهم قوم تملكهم حابة « لوحده » أو
 « الحدة » أو « الصرع » فيتدفقون نابوعد والوعيد ويدرون الناس
 بالويل والشور ويقولون كلاماً لا يذكره وهم مهيضون . فحسب
 لسمعون أن يوش المعبود بحرى هذا بكلام على أنفسهم بلوعظة
 واسصرة . وسمى الصرع من أجل هذا بالمرص الإلهي في الطب
 القديم .

وكان نبون سمعون الرأى ماني Mantis ويسمى المعبر عنه أو
 لمصر لكلامه بروفيت Prophet أى المتكلم باسمه عن غيره ، قل أن
 صدى هذه الكلمة على النبي بمعناها مأثور في الأدبيات الكتابية . ولكن
 عرق بين الرأى والكاهن لم يرب ملحوظ في الأرمية المتأخرة كما كان

ملحوظ في الأرملة العاهرة والكهانة وصيفة والرؤية طبيعة . والكاهن
يقصد ميقوه ولرائي يساق إليه ، وقد تشرك الكهانة والرؤية في شخص
واحد وبطل العمالان محتملين ، فما يقوله الكاهن قصدا غير ما يقوله وهو
« راء » ينطق لسانه عما يسمعه وما لا يسمعه

ويصطدم العمالان كثيرا بعد ارتقاء الديانة وامتزاجها بالمصائل
الأخلاقية والفرائض الأدبية . فإن الكهنة في هذه الحالة يحمدون أحيانا
على المراسم والشعائر ويحافظون على مناسبتهم بالناس الخطوة عند دوى
سلطان في بلادهم ، ويومئذ يختلف عمل الكاهن المرسوم وعمل رائي
المنطوق ، فيثور الرائي على الكاهن وينهم في أمانته وديانته . ويحدث
بينهما ما حدث بين « أمصيا » كاهن بيت إيل وعموس الرائي ، إذ يحذره
الكاهن على ررقه وحياته فيقول له « يا رائي اذهب . هرب إلى
أرض يهودا وكل هناك حبرا وكل هناك نيا . وأما بيت إيل فلا تعد تنسأ
فيها بعد ، لأنها مقدس الملك وبيت الملك »

• • •

وقد وجدت الكهانة والرؤية بين العبرانيين من أقدم عصورهم كما
وجدت في سائر الأمم ، وم يسمعون الرائي عندهم باسم السبي إلا بعد
اتصالهم بالعرب في شمال الجزيرة . إذ وجدت كلمة السوء في اللغة
العربية كما قلنا في كتاب أبي الأنساء « غير مستعارة من معنى آخر ، لأن
اللغة العربية عينة جدا بكلمات العرافة والعبادة والكهانة وما إليها من
الكلمات التي لا تنس في اللسان العربي معنى السوء كما تلبس في الألسنة
الأخرى والعبريون قد استعاروها من العرب في شمال الجزيرة بعد

اتصاهم بها ، لأسمهم كانوا يسمون الأنساء الأقدمين بالآباء وكانوا يسمون
المطلع على العيب بعد ذلك باسم الرائي والداطر ، ولم يفهموا من كلمة
السوة في مبدأ الأمر إلا معنى الإندار . . . وقد أشارت التوراة إلى ثلاثة
أسياء من العرب غير ملكي صادق الذي لقبه الحليل عند بيت
المقدس وهم يثرون ولعدم وثيوب ومنهم من يقال إنه ظهر قبل اثنين
وأربعين قرناً وهو أيوب ٥

ويعزر هذا الرأي ما جاء في موسوعة الكلمات اللاهوتية ^(١) في التوراة
عن عالمين من أكبر علماء التاريخ العبري وهما هولشر Holscher
وشميدت Schmidt فإنهما يرجحان أن كلمة السوة مما استعاده العبريون
من أهل كتعان بعد وفودهم على فلسطين

النبوة والجنون

عرف الأقدمون من العرب والعبرين كلمة السوة قبل بعثة موسى عليه
السلام ، ولكنها لم ترتفع بينهم إلى مكانتها الحليمة التي نعهد لها اليوم دفعة
واحدة ، وغير عندهم دهر طويل وهم يخلطون بينها وبين كل علاقة
بالغيب ، وينظرون منها الكذب كما ينتظرون منها الصديق شأنها في ذلك
كشأن غيرها من الدلالات على المجهول .

مخلطوا بينها وبين الجنون ، كما خلطوا بينها وبين السحر والكهانة
والتنجيم والشعر ، وأضعف من شأن السوة عند بني إسرائيل خاصة أن
لأنبياء بينهم كثروا وتعددت نبوءاتهم في وقت واحد فتدققوا وأشار

(١) A Theological Word Book of the Bible. edited by Richardson

عصمهم بما يهوى عنه الآخرون ، فأصبح لأسياء عندهم مريقين
يتشابهون في المسلك والمظهر ويحتلمون بالصدق والكذب ، ولا سبيل إلى
معرفة لصادق والكاذب غير امتحان الحوادث التي تأتي أحيانا بعد
سيان ما تقدم من أسوءات

وعنت عليهم في مبدأ الأمر عقيدة شائعة مدهون السلي وعبادة عن
لوعى في جميع أيامه وفي الأيام التي يمكنه فيها التوحد للإلهي عن
الخصوص ، كأنهم يرون أن عيوبه والانتصاب بالعبث شيء واحد .
وكانهم يحسون أن الانقطاع عن شواغل الدنيا آية على صدق السلي
واقباله بحملته على الله

ويؤخذ من سفر صمويل الأول أن المتشبهين كانوا يطهرون جماعات
جماعات « يد أرسل شاول رسلا لأحد داود فرو جماعة الأسياء يتشاورون
وشاول واقف بينهم رئيسا عليهم ، فهبط روح الله على رسل شاول فتسأوا
هم أيضا وأرسل غيرهم تسأ مؤلا . فجمع هو أيضا ثيابه وتسأ هو
أيضا أمام صمويل وانطرح عاريا ذلك النهار كله وكل الليل »

ومن لم يمكنه حالة التوحد برياضة النفس على خشونة والشطف
وتعريض جسده لحرارة الشمس وبرد الليل فقد يستعين عن اكتسابها
بالسجود والحولاء ويستقل هذه الوسيلة إلى لشوة أو لعيوبة فينطلق لسانه
بالسوءات والرموز ويستخلص منها السامعون تفسيرها في حرت عليه
عادتهم من التأويل والتخريج .

وفي سفر صمويل قبل ذلك « أنه يكون عند محيلك . في مدينة
أنت تصادف زمرة من الأسياء يارلين من الحكمة وأمامهم رباب ودع

وبنى وعود وهم يتسألون . فيحل عليك روح الرب فتتسأل معهم وتتخبر
إلى رجل آخر .

وفي سفر لأبياء الأول أن دود ورؤساء الجيش « أفرروا لخدمة بني
تساف وهيمان ويدوثوا المتشئين مانعدان والرباب والصروح »

وقد سئل من الأساء كأهم يرشعون أنفسهم لسوة بعد آثامهم حتى
يصيق بهم مكانهم كما جاء في سفر الملوك الثاني « وقال من للأسياء
لأليشع هو ذا اوضع الذي نحن مقيمون فيه أمامك قد ضاق علينا
فلنذهب إلى الأردن »

وعلى هذه الخيرة التي كانت تساب القوم بين السوءات الكثيرة م
يكن بهم عني عن السي الساذق الذي يحذرهم عصب الله وسلعهم
مشيته وعن عليهم فرائضه وأحكامه فلم يعرضوا عن الأسياء كن
لإعراض ولم يقبلوا عليهم كل الإقذار . ورجعوا إلى التحررة في التفرقة
بين السوءات ، وعقيدتهم في ذلك ما جاء في سفر التثنية خطابا لموسى
عنه السلام « وأقيم لهم سببا من وسط إخوتهم مثلك واسمع
كلامي في مه فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذي
لا سمع كلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه وأما النبي الذي
يعرض عليكم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آهة
أخرى فموت ذلك السي وإن قست في قلبي كيف تعرف الكلام الذي
م يتكلم به الرب فما تكلم به السي باسم الرب ولم يحدث ولم يصرف فهو
الكلام الذي لم يكلم به الرب بل بطغيانكم به السي فلا تحف
. . . »

وعى هذا انقسم انثنون أقساما ثلاثة نى بتكم باسم الرب ، وىى
يتكلم باسم آلهة أخرى . وىى بتكم باسم رب إسرائيل ولكنه طعى عا فى
قلبه على وىى ربه ، فبخلط بين مايقوله هو بسانه وبين مايجريه الله على
لسانه لينه إلى قومه .

والمرجع فى التفرقة بين لأنبياء إلى صدق النبوءة ، فإذا امتد الأهل
بالسى حتى يشهد القوم صدقه فى نبوءة بعد أخرى فذلك هو لنى المختار
الذى يطع ونكت عنه النبوءات . ورعا قضى صدر حياته مها مسودا
بين قومه كما حدث للبنى أرميا لدى أصبح عد كنانة العهد القديم فى
رمرة كمار الأنبياء ، وقد حكى ذلك فقال فى الإصحاح العشرين .
« قد أقنعنى بأرب فاقتنعت وألححت على فقبلت . . . صرت لبصحك
كل النهار . وكلهم قد استهرسوا لأننى كما تكلمت صرخت . .
ناديت طم واغتصاب فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه
فكان فى قلبى كنار محرقة محصورة فى عظامى . . »

نبوءة الأحلام والرؤى

ومن الحق أن نذكر أن المتشبين لم يتطلعوا جميعا إلى مكان النبوءة
العليا - نبوءة القيادة والتعليم والتشريع - ولم تكن نبوءة الكثيرين مهم
مستمدة من شىء غير الأحلام والرؤى وحيشان الشعور والحاحه على
صورة واحدة . يصحز تنبئ عن صرعها فيجهر بها صارحا كما فعل أرميا
كانه يستعيث من لاعج فى نفسه لايقوى على كتمانها ومهم من كان يرى
الرؤى ثم تتكرر فى منامه ، فيقصي بها إلى قومه بحافة الكتمان وحذرا من
أن يكون هذا الكتمان نكوصا عن الدعوة وممالة على العصيان والفساد .

وقل منهم من أُلغ قومه أنه تلقى الوحي من هاتف مسموع أو شخص منظور في حالة اليقظة ، ومن هؤلاء القليل صمويل الذي « سمع قبل أن ينطق سراح الله وهو مصطجع في تابوت الرب صوتاً يدعوهُ » ويعود إلى دعوته لتوكيدها ، ومنهم ديبال الذي قال إن « ارجل حبريل الذي رآه في الرؤيا ابتدأ يلمسه عند تقدمه الماء ويتكلم معه ويقول له إنه خرج ليعلمه أنهم ويرشده » ومنهم من كان يستعظم الدعوة حين يحسها في صدره فيقول كما قال شعيا : « إن هلكت لأنى إسان نحس شعيتي أسكن بين شعب بحس شعيتي » إلى أن قال « إن عيني قد رأنا ملك رب الجنود فطار إلى واحد من السراييم وبيده حمرة قد أخذها عنقبط من على المذبح ومس بها فمى وقال إن هذه قدست شعيتك فانترعت إثمك وكفرت عن خطيئتك » .

وحاشت نفس أرميا وهو صبي محواطر النبوة ثم أُلحى إليه أن الرب يقول له : « قبل صورتك في لبطى عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك . جعلت ميا للشعوب » فاستكبر النبوة على سته وقال في صلاته آه ياسيد الرب من أين لي أن أعرف الكلام وأنا ولد ، قد الرب يده ومس فم وقال هاقه جعلت كلامي في ملك ، فانظر ، لقد وكلتلك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقع وتهدم وتهلك وتنقص وتبني وتغرس .

ولقد خشي الأنبياء الكبار على الشعب خطر المعجرات والآيات التي يدعيها المشعوذون ، لأنهم عرفوا عجائب السحر في مصر وبابل وأشفقوا من فتنتها على عموال السواد فلم ينكروا المعجزة الصادقة ولكنهم حسبوا حساب المعجزة الكاذبة التي يقتدر عليها السحرة وأنواع الأرباب المهرمين

فكان من وصايا سفر التثنية التي نسب إلى موسى عليه السلام ، أنه إذا
قام في وسطك سى أو حاء حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية
أو لأعجوبة التي كلمك عنها فاثلا لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها
وتعدها فلا تسمع لكلام دينك اسى أو احلم ذلك الحلم لأن الرب
إلهمكم بمتحكمكم لكي يعلم هل تحبون الرب بكم من كل قلوبكم ومن
كل نفوسكم وذلك اسى أو احلم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالبر
من وراء الرب . . .

لا أن خيرة بين أصحاب آيات والمعجزات ، تطل في عهد أسياء
سى إسرائيل ولا بعد ظهور السيد المسيح فكان الرسل يسدلون
بالمعجائب وآيات العظيمة على صديقهم وكانت المعجائب الكثيرة تجري
على أيدي الرسل كما جاء في سفر الأعمال . وكان يوس الرسل يبكت
أهل كورنثوس ويبغى عليهم سوء معتقدتهم بعد العلامات التي صمدوا
بيهم وصبر عليها بآيات ومعجائب وفوت . وكان إلى حب هذا
يحذر الشعب ممن يقتدرون بقوة الشيطان على الآيات والمعجائب الكاذبة
« بكل خديعة الإثم في إهالكين »

وجاء في الرؤيا أن الأسياء كذبة يقتدرون على ذلك إلى آخر
الزمان . ومن هم «سى الكذاب ثلاثة أرواح محبة تشبه الصقاع .
فإنهم أرواح شياطين صاعدة بآيات تخرج عن منوك العالم وعلى كل
المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم » .

ومن عرف اسم سورة بين قنائل إسرائيل ظهر فيهم ميثاق وألوف من
هؤلاء المتشبهين لم يكن شأن الأكثرين منهم ليزيد على شأن الدراويش
لنفس يلدودون بأماكن العبادة أو أماكن الرياسة في جميع الأديان . ومن

تكر هائل انادية ولا أهل القرى يصيقلون تنكاليه معشهم لأهم كانوا
يقعون بالقليل من الحر والأدم وبخش الرحيص من ملاس الشعر
والصوف ، وربما استراح إليهم الدهماء لأهم يرحون عن صدورهم
بالاجزاء على كبرئهم وسرواتهم الذين يستسلمون لطمع والكبراء أو
ربما حمد هم الأمهات والآباء أنهم يباركون أطفالهم ويشعرون مرصاهم
ويغفون أمامهم بأصرف من الأفاويل يصرون رمورها بما يصب هم
ولا يشعرون بها برهق شديد لأهم لا يحملون مؤنثها إذا أحدث مأخذ
الحذ والخسامة ، بل ترتفع إلى ندى ولاية الأمر ورؤساء الدين والكنهان
والحكماء فيوقفون بين نقائصها أو يستخدموها في تلقين الشعب ما يحبون
أن يقبوه بنسب المتشبين ولا يقبونه بألسنتهم ، خوفا من تعاته أو من
فيل الخبطة للترجع إذا حسن لديهم أن يرجعوا عما حرصوه وأثثوه .
كان حطب المتشبين من هذا القليل ميسورا للقبائل ورؤسائها ، حتى
إذا ظهر الأسياء الكفار طهرت معهم حالة كبرى لا تعرض كل يوم ،
لأنهم لا يظهرون إلا إذا احتاحت القبائل إلى تغيير شامل في معيشتها
وأخلاقها ومعاملاتها ، وقد يتقاضاهم الأمر محررة إلى بلد ماء أو قتالا مع
أهل البلد ائدى هم فيه أو مع أهل حوارهم ، وليس حطهم مع المتشبين
الصغار محدبة مع هؤلاء الأسياء الكفار دعاة التعير الشامل وأصحاب
الحق في القيادة الطاعة ، وإنما الخطة محدبة هنا هي الانقياد للدعوة
التي يحشى على من عصيها أن يهلك بعصب من الله ولو عم اهلاك قومه
أجمعين فلا يثبت البى الكبير أن ينزل في منزلته بين القوم وأن يتولى
بيهم مكان القيادة والتشريع والتعظيم ، وهو أرفع مكان يسمو إليه
عندهم صاحب حق أو صاحب سلطان .

دليل الأمان

إن مهمة النبوة كما قام بها هؤلاء الأسياء الكبار هي أعلى ما ارتفع إليه نظر الأقدمين من بني إسرائيل وغيرهم إلى مقام النبوة ، فقد كانوا يلقون عليهم كل معوهم . ويطلبون منهم ما يطلبونه بط من دى ثقة أو مقدرة بينهم . فأنهت هذه المطالب كافة إلى غاية واحدة وهي أن اسى « دليل أمان »

يقتدون به اتعبيهم وهداية ، ولكهم يقلوب تعليمه وهديته لأنه دليلهم إلى الطريق الأمين .

ويستمعون له فيما يلعبهم من أوامر لله وبرهيه ، ولكهم يستمعون له لأنه يزحزحهم من طريق العصب والكال .

ويجب عليه قبل كل شىء أن يعرف العيب ليعرف الخطر المتوقع عليهم وعلى أعدائهم المدين ببعضهم ولا يقدر على قتلهم وربما طلبوا منه أن يكشف لهم العيب لما هو أهم من ذلك بكثير وهو تعريفهم بمكان المال الصائغ والحيوان الصال

ولشت مهمة السى عندهم معلقة على دلالة الأمانة في المكان المجهول والرومان والمجهول ، ولكنها دلالة الأمان من أخطار محسوسة تشبه تلك الأخطار التي تحدثها منها المراسد ومكاتب التأمين . فها أخطار الحروب وأخطار الوباء وأخطار المصائب في الأقارب والأعراء

ولم يبلغ أحد من أسياء بني إسرائيل مكانة أعلى من مكانة يعقوب الذى يسب إليه بنو إسرائيل ، أو موسى الذى يدينون له بالشرعة ، ثم صمويل وحرقيال وأرميا من أصحاب النبوة ب غير المشترعين

وكل هؤلاء كانت مهمة السورة فيهم مقترنة بالمهمة الأخرى التي لا تفكك منها ، وهي دلالة الأمان بالمعنى المتقدم أو دلالة الأمان كما يترقيا المرء من المراصد ومكانات لتأمين . وإن تكن فئمة على الهداية والتعليم .

ثم سوءات بعقوب فيهم أنهم كانوا يعولون عليه في رصد النجوم . وأن كل اسم من أسماء الأبناء يشير إلى برج من بروج السماء ، ولاستقصي الأسماء هذا بل يشير منها إلى مشين يعيان عن غيرهما . وهما مثل يهود وشمعون ولاوى « يهودا حروأسد جثا وربص كأسد ولبوة لا يرون نصيب من يهودا ومشترع من بين رحليه حتى تأتي شيلون وله يكون خصوع شعوب » .

وهذه إشارة إلى برج الأسد ، وكان عند البابليين برجان أحدهما برج الأسد أرحولا والآخر أرماع أحد إخوة الدب الأكبر . وأمام الأسد في البروج برج يشير إلى علامة الملك Sconis Rogulus الذي تخصم له الملك

أما مثل شمعون ولاوى « فأحون » سيوفهما آلات ظم في محسهما لا تدخل يميني لأسمها في عصمها فتلا إسبانا وفي رصاهم عرفا ثورا . . .

وهذه إشارة إلى برج الثورين . وهو برج إبه حرب « رجاله » عند بابليين ويصورون أحدهما وفي يديه حنجر والآخري في يديه سلاح شبه « سحل » وتشير عرقفة الثور إلى برج الثور الذي يتعفه استوأمان

(1) The oracles of Jacob by Eric Burrows.

وسواء صحت هذه الإشارات إلى الأبراج واسجود أو كان فيها مطنة
لحظة والتجور من المفسرين فالسوءات عن مصائر الأبناء بأسمائهم
واضحة لا تحتمل التكذيب .

وموسى الكليم طاله القوم من إسرائيل وغير إسرائيل في مصر بقدرته
على السحر أعظم من قدرة السحرة وأصحاب الكهانة وتسحيم ، ثم
حاوروا تكليف الدلالة معه إلى تكليفه أن يهبى لهم الطعام الذى يشبهه
صوفاً بعد صوف وهم في واد اثيه ، فممن من حمد هرعون

واحتجاج القوم إلى عزم العيب في عهد صموئيل يسألوه عن ناشية
الصلاة ويأخروه على ردها « حمد معك واحداً من العلماء وقم اذهب
فتش عن الاتس فقال شاوون للعلام هذا يقدم للرحل ؟ لأن
الحر قد بعد من وعينا وليس من هدية يقدمها لرحل الله ماد معاً ؟
فعاد العلام يقول هو ذا يوجد بيدى ربع شافل قصه »

ولم يحفل بنو إسرائيل بالسوءات بعد صموئيل كما حصلوا بسوءات أرميا
وحرثيل . وكلها نبوءات عن أخطار الحوادث التى تصيب قومهم
وتصيب غيرهم من الأقسام أصحاب لدون في وادى السل وسر
الهرين ، وكان الإباء بالغيب على هذا المثال هو المهمة الأولى من مهام
كبار الأنبياء . وربما تحدث عن العيب أشياء من غير هذه المنطقة ليدكروا
مصائر أفراد معلومين إلى جانب مصير الأمة كما قال السى عاموس في
بيت إيل « أنت تقول لا تنسأ على إسرائيل ولا تتكلم على بيت
إسحاق ولذلك قال الرب إن امرأتك تترى في المدينة وسيك
وساتك يسقطون بالسيف وذصك تقسم بأخيل ، وأنت تموت في أرض
نحسة ، وإسرائيل يسي سبياً من أرضه . . . » .

نبوة الهداية

حتمت أيام هذه لسوءات جميعا في بني إسرائيل قبل اسعة
الاسلامية سحر تسعة قرون . لم تنعير حلالها نظرة الناس عامة وبني
إسرائيل خاصة في اسوة للدينية . ولم يفهموا سوءات لأولى ومخلق
في غير انهم الذي عهدوه في ظهرت اسوة للإسلامية لم تكن تكرار
لتلك لسوءات ولا تصور فيها بل كانت « تنقية » من كل ملصق بها
من نقايا لكهانات والمدحرات . وحاءت معنى اسوة كما يسعى أن تكون
وبنت عنها ما ليس يسعى لها من شوائب الأوهام . وأوها أنها مرصد
للمحادثات يحمي الطريق أو مكتب لتأمن يقارص القوم على الأمان من
لا حصر

ليس مهمة السي أن يعلم العيب « إنما العيب لله »

وليس أصدق من سي يعلم الناس الصدق فعمهم مرة بعد مرة أن
لعيب من علم الله يكشف عنه ما يشاء لمن يشاء

« يسألوك عن الساعة أياك مرسلها قل إنما علمها عند ربي لا يحيط
لوقتها إلا هو »

« قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم
لعيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير لقوم
يؤمنون »

« قل لا أقول لكم عدى حرائر الله ولا أعلم العيب ولا أقول بكم
إن ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل ينسوى الأعمى ولا يبصر أهلا
تتذكرون »

« وعنده مفتح العيب لا يعتمها إلا هو »

وآية الآيات مسألة « المعجرات » في الدعوة محمدية فيست
المعجزة ممتعة إذا أرادها حائق الكون كله وحائق السن التي يجريه
عليها ، ولكن المعجزة لا تنفع من لا يفعه عفه ولا تقنع المكابر اسطل
إذا أصر على اللحاح في باطله :

« ونوفتحنا عليهم باباً من السماء فطرو فيه يعرجون لقالوا إنما
سكرت أنصارنا بل نحن قوم مسحورون »

« ويهولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما العيب لله فانتظروا
إني معكم من المنتظرين » .

وقد كان الناس يظنون في حوادث الملك فيحسوها من الآيات
فسبهم أن يحبطوا بين حوادث الملك وحوادث الحياة والموت ،
وكذلك كسفت الشمس عند موت إبراهيم أبه عيه السلام فقال أساس
إسها كسفت لموته فلم يمهلهم أن يسئروا في طهم وهو محزون الفؤاد على
أحب أبائه إليه بل أنكر عليهم ذلك الطن ورآها فرصة للتعليم وم يرها
فرصة للدعوة فقال : « إني الشمس والقمر آتان من آيات الله لا تكسها
لموت أحد . . »

وحاصت النبوة كلها لمهتها الكبرى وهي هذا : الصمير الإنسان في
تمام وعيه وإدراكه ، فانقطع مديها وبين كل صناعة أو حيلة كان يستعان
بها مديماً على التأثير في العقول من طريق الحسن المخلوع .

فليس في النبوة سحر ولا كهانة ولا هي شعر يرحره قائمه « إيه
لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن
قليلا ما تذكرون » .

ولابد للمؤرخ ان يربط عند كل وصف من أوصاف الأسياء الذين
كذب بهم قومهم . لأنها جمعت كل ما قيل عن الأساء بين أولئك
الأقوام في العصور المتطاولة . فإد صح أن حرية العرب لم تعرف الأسياء
كم عرفهم بنو إسرائيل وأن أسياءات كانت وعفا عن بني إسرائيل والمتشبهين
بهم من الأمم . فمن أين عرفت أحول لأساء ومتشبهين التي رصفهم
بها المكذبون وقد وردت جميعها في القرآن الكريم ١

فهم من كان من المعتمدين ويرميه مكذوبه بالخون ١ في هم
الذكرى وقد جاءهم رسول مني ثم توارا عنه وقالوا عليه بحول ١
ومهم من كان يرمى بالسحر والحول ١ كذلك ما في الذين مر
قلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ١

ومهم من كانوا يدعونه برموز لشعراء ويرمونه سحابت ١
كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أيا لئاركو آهتنا لشاعر
مجنون ١ .

و إذا رموه بالسحر وحده قاروا إله السحر الكاذب فغير به من السحر
الذى كانوا يعترفون به فكهان معاندتهم ١ وعصوا أن جاءهم منذر
مهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ١

فالتعسم ولشعر والسحر والكهانة والعيوبة . كانت كلها سبوق
واقعة موصوفة على لسان المكذبين من أقوام الرسل الأقدمين . ومن
وصفهم مخترعا ههنا هو الحب العجاب . ومن وصفها مطعنا فقد
استقصاه وراى عليها مام نكس بها . وهو السوء الخاصة لهداية
الصمير

إن المتنشين من الأقدمين لم يفصلوا التوبة بفاصل حاسم وإن من المتنشين في بني إسرائيل لم جمع بين الكهانة واستطلاع العيب بالافتراء في المحراب . وعاش القوم بعد أسياهم بأرملة طور وهم لا يدكرون هم رسالة أكبر من رسالة الإيدر بالحوادث ولأحطار فإدا كانت أسوة لم تخلص لمهمتها الكبرى قبل محمد عليه السلام فأين هي الكرامة التي تعلو على هذه الكرامة بين مراتب الأنبياء ؟

إن الرسالة المحمدية قد علمت بس أن يحسوا بسوءات إدام تكس سوءه للهداية وللإمداد ولشده « أكاب للناس عجا أأ أوحيا إن رحن منهم أن أندر الناس وبشر الدين أمو أن هم قدم صلوا عن رهم . . . »

وهذه هي السوءة المحمدية .

وهذه هي استيحة التي لم تأت من مقدمتها . وهذه هي التيحة التي لم تأت من جميع مقدماتها

وهذه هي آية العمل الإلهي بين أعمال الناس

سيد الأنبياء نشأة الأنبياء

إن وجهة الدعوة النبوية تنبئ من نشأة النبي التي أعده الله بها للقيام بتلك الدعوة ، فإذا عرف نشأة النبي بين قومه عرفنا رسالته فيهم وعمله في هدايتهم ، وعرف وجهة أسوة من وجهة النبي مد هياً الله حيث جعله أهلاً لرسالته

ولكن عرائب التاريخ في أمر الأنبياء كثيرة ، ومنها هذه العربة التي تكاد أن تشمل الأنبياء جميعين ، وهي الجهل التام بتفاصيل شأنهم بين ذويهم وأقوامهم ، فلا يخصى التاريخ شيئاً من هذه التفاصيل عن نشأة نبي من كبار الأنبياء غير محمد عليه السلام ، وكل من عداه من حلة الأنبياء فالعلم بأنباء طفولتهم مستفاد من سيرته بعد السوء أو مأخوذ مأخذ الاستقراء والاستنباط .

وعلى هذا يقل عدد الأنبياء الذين يحاول اختيارهم للمقابلة بين شأنهم ومقاصد دعوتهم ، ولاستطيع أن يزيد على ثلاثة من كبارهم وهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وعن بعض الأنبياء المذكورين في العهد القديم في مناسبات ظهورهم ، وبعض هذه المناسبات يدل على النشأة التي نشأوا بها والوجهة التي اتجهوا إليها .

مما يمكن من بدء الحليل إبراهيم بالأحوال متواترة على رعايته

قومه حين هاجرهم من جنوب العراق إلى شماله ومن شماله إلى أرض
كنعان .

كانت مهمته من مهمة الرعامة المروضة عن رعيم . وكان عليه
أن يتولى هدايتهم في شئون دنياهم وشئون دينهم ، وبخاصة حين يحشون
الخطر عليهم من غضب الله ونقمه الماحلة من جراء المخافة والعصيان .

ويسعى أن يذكر هنا أن لوعيد بعص الإلهي كان حصرا محدودا
فريسا ممن تعدوا لجميع الأرباب في سياقات الأولى . وأن إيمان الناس
بالإله في العهود الأولى إنما كان على نقواه إيذا حماية رب الذي يعدونه
دور سائر الأرباب . فهم يكرعونهم مؤمنين أن يعزز قومهم وهذه نعم سليل
عائهم . وقد كان إبراهيم الخليل رعيم أسرته لذين هاجروا معه
فكان عليه أن يهديهم الطريق . وأن يهديهم كل طريق في هجرة الجسد
والروح .

وتتفق الأقوال على أن إبراهيم يخالف أباه حين أنكر أرباب القوم
ودعا قومهم إلى الكفران بالأصنام . وليس في هذا ما يسي رعامته على
لذين هاجروا معه من أسرته وذوي قرباه وتابعيه . فرما كان الخلاف
على لإقامة والمصاهرة وصداء ذوي السلطة شيء من المدركة
استكان الشيخ لتواقع وعمر الكهن القوى من هذه الاستكانة . وقد
رأينا أن ثورة النفوس كانت تلعب غيرة مذهبي سلالة إبراهيم حين
يؤمنون بعبادة إله . وإقامة لضم مقام لإله لدى في السماء . فلعل
لمصري من إبراهيم وأبيه إله كان على عبادة جديدة أقحمت على القوم

من حد اقل فحاج المؤمنين بأنفسهم وتبعوا الخلق في طريقه ، و أدى
هم أمانة الرعامة هذه النبوة وهذه الرسالة
عهد النبوة مهمة زعيم أمين .

نبوة موسى

ويريد فرويد أن يجعل قيادة موسى عليه السلام من قبل هذه
القيادة ، ولكنه يذهب بعيدا حين يزعم أن موسى كان من المصريين
لذين كانوا يعبدون « أتوم » وكهروا بعقيدة آمون ، فلم انقب الكهنة
على لوحداية اتى جاءت به عقيدة أتوم نحو موسى إلى المستضعفين
من يهودى أرض مصر لتشر سببه هذه العقيدة في الإله الواحد .
وأضاف إليها ما تلقاه من العلم بلدين « يهوا » حين نحا نفسه إلى صحراء
مساء والبقى في أرض مدين نسي الصحراء

ألف فرويد شهور وهو إسرائيلى - كتابا خاصا عن موسى
و لوحداية *Moses and Monotheism* حاول فيه جهده أن
يرجع نأصل موسى عليه لسلام إلى لأسرة مصرية المالكة ، وقال ب
سمة نسه بدل على أصله مصرى لأنه مؤلف من كلمة من ومن اللاحقة
لتى تشبه الواحق في أسماء رعموسس ونحتموسيس وأموسس ،
وعصه في الماء على أن فرويد تقديده في لبايية قصة سرحون ملك
الدى وصعته أمه على حافة الهر وجمعت له مهدا عذما من السلال

وقد توسع فرويد في تخميه فقال إن أدراى نى أطلقها العربون على
الإله إنما هى أتوم أو أتوم لمصرية ، وأن موسى عليه السلام وفق بن

عاداته ليقع بين إسرائيل بدعوة أحماتوب ، وإلى هذا يرجع
لاضطراب في النصوص العبرية القديمة .

وليست طريقة فرويد في تخمين التاريخ إلا أسلوباً آخر من طريقته في
كشف العقدة النفسية بالتحمين والتأويل تفسير لنواظير المريض . وقد
يكون تفسير هذه النواظير قريبة على صحة الرحم بالعيب في استكشاف
الأمراض الناطقة ولكن محتماته في سيرة موسى عليه السلام لا تعتمد على
قربة ولا على حل مقبول ، وليس لها سند من الآثار المصرية أو من الآثار
العبرية ، وفي وسع من يشاء أن يحسن منها على هذا الموال ويأتي
بعشرين فرضاً متصارباً من فروض الخيال .

أما سيرة موسى عليه السلام من ارجاع الدينية فيس فيها ما يدل
على زعامة معترف بها بين بني إسرائيل . بل فيها إنكار هذه الزعامة
بدقول الصريح لأنه أراد أن يحكم بين خصمين من العبرانيين فقال له
أحدهما : « من جعلك رئيساً وقاضياً علينا ؟ أأنتك تريد قتلى كما قتلت
المصري بالأمس ؟ » .

ويرجع برستيد أحد الثقات في التاريخ المصري القديم - أن
موسى قد خرج من المدارس المصرية لكبرى وأطلع على مكتوبات علم
الكهنة والحكام ، وكانت له منزلة فاضلة عند ولادة الأمر لعله كان
يستخدمها في الشفاعة لقومه والعلم ببيت الولاية وأوامرهم فيما يخص
شؤونهم ، فتعود عقلاؤهم أن يسجأوا إليه ويوسطوه ليستشفوا به فيما
يؤلمهم من الظلم وسوء الحال . وأصبح له حق الشورى عليهم كلما ارتبط
لأمر بمشينة الدولة ومطالب بني إسرائيل .

وعلى خلاف الصورة التي تخيلها « ميكان أنجلو » للرسول العظيم
يؤخذ من أوصافه أنه كان وديعا ، حليبا جدا أكثر من جميع الناس الذين
على وجه الأرض « كما جاء في كتاب العدد من العهد القديم ، وأنه
كان يشكو حسرة في لسانه فهو يقول عن نفسه كما جاء في سفر الخروج
« كنت أنا صاحب كلام مندأمس ولا أول من أمس ولا من حين
كنت عديدا . بل أنا ثقيل الفم واندسان . قال له الرب من صنع
للإنسان ف ؟ أما أنا هو الرب فالآن فذهب وأنا أكون معك
وأعلمك ما تتكلم به . . . »

وم يحظر له نادئ الرأي أن يقود قومه في خروجهم من مصر ، ولم
يكن على أهبة لرسالة المدينة قبل هجرته إلى صحراء سيناء وقائه في
أرض مدين لنسي العرسي الذي يرحح الأكترون أنه هو نسي الله
شعب ولكنه على مختلف الروايات قد تعلم من ذلك النسي علوما
شنى في شئون التسليع والقيادة . وم يزل يتعلم منه كما جاء في كتب العهد
القديم بعد عودته إلى مصر وخروجه منها مع قومه . وكان يثوب إليه كما
ساورته المحووف وأوشك أن ييأس من هداية القوم أو يصيق درعا بم
يسومونه من شهوات الطعام ولدد الخصومة والمناصرة بين لعشائر على
صعائر الأمور

فأسوات لتي قصاها إلى حورسى مدين كانت هي فترة الاستعداد
وارياصة الروححة والتدبر الطويل فيما يمكن عمله لإخراج بني إسرائيل من
مصر وإحلالهم حيث حل على مقربة من سيناء وكعنان . ولابد أنه قد
حس حلال تلك الصحراء ووطئ قدميه أماكن الرحة التي لابد منها
قل المقام على استقرار في ذلك الحوار .

ولاشك أنه كان يصعب إلى سى مدين فيها بسطه له من أمر عقيدته
وعاداته . وأنه حكى له ما عرفه من لعقائد المصرية وعادات الهياكل
والكهان . وورب طويلا بين هذه العادات وعادة لبادية كما نقماها من
أسناذه المدينى ومن هداية الوحى والإهام .

فلما عاد إلى مصر ليخرج بقومه منها كان هذا الخروج حلة من
لا حيلة له فى انقار . ودعاهم إليه باسم الله فأطاعوه بعد لأى
وعاهده . ولم يظهر من سلوكهم معه أنهم حقا إلى الخروج من مصر
بطوعية بغير دعوة ملحة وإفناع عسير .

ولا يههم من حادث واحد من حوادث الرحلة أن لقوم كانوا يؤثرون
القرار حرصا على عقيدة دينية . فإهم أسفوا على مانعودوه من المراسم
الدينية فى مصر وودوا أن لهم يعبدون إليها أو يعبدونها مسوحة
ممسوحة فى الصحراء . وخطرهم أن الإله الذى دعاهم موسى إليه إنما
عرهم ليهلكهم ويعنى على آثارهم . واحتاحوا فى كل خطوة إلى توكيد
لوعده بالأمان ورعد بعيش بعد أعوام التيه والانتظار

فهمة الرسالة لمرسوية هذه العوارض الطبيعية لانهم إلا على خطوة
واحدة ترتسم أمامنا كما كانت لأنها هكذا يسعى أن تكون

هجر موسى مصر بعد مقتل المصرى وتهديد نى إسرائيل . قبل
غيرهم بالإبلاع عنه . فصلا عما يحشاه من ملاحقة ولالة الأمور

ولم يحطر له قبل تلك المحره أن يقع قومه بالرحيل من الديار
المصرية . فلما اختبر الصحراء وسمع ما سمع من هداية سى مدين ولح
بعبيه مطارح الرحلة ولقرار بين مدين وسهوب سيناء وكهان . وطاب

له مقام الدية فلم يستعظم لمشقة في دعوة قومه إلى مثل هذا لمقام .
تدبر الأمر وصحح اعزم على التحول بالقوم من مصر إلى أرض كنعان ،
وصرف الجهد لدى لا جهد بعده في قباعهم باسم الإله الذي اختارهم
للحياة . ولم يرل يحذر عليهم ترك هذا الإله عند أيسر دعوة ومغير إغراء
على الترك في أكثر الأحيان

وهذه أمثلة من تحذيراته تدل على الجهد الجهد في تحوّل قومه من
العادة التي كانوا عليها إلى العادة لى دعاهم إليها

من هذه التحذيرات في سفر التثنية يقول شمس « لا تسأ عن الهتهم
قائلا كيف عند هؤلاء الأمم آهتهم فأنا أيضا أفعل هكذا لا تفعل هكذا
لئلا يهلكك لأنهم قد عملوا لآلهتهم كل رحس مما يكرهه الرب »

وحذرهم من لأسياء « فإذ قام في وسطك نبي أو حالم حلما
وأعطاك آية أو عجيبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمت بها
قائلا لذهب وراء آهة أخرى لم تعرفها ونعدها فلا تسمع لكلام دينك
السي »

وحذرهم من الأحم والاس والروح ولصاحب أن يعويهم قائلا
« يذهب ويعد آهة أخرى . فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق
عبيك عليه بل قتلا تفعله »

وحذرهم من مدد التي يدخلونها أن مدعوهم النمام إلى عادة
أربابها « فصربا تصرّب سكان تلك المدينة كحد اسيف وتحرسها بكل
مدحها مع هائمها كحد السف »

وإذا سمع عن أحد من إسرائيل « أنه يذهب ويعد آهة أخرى

ويسجد لها أو للشمس والقمر أو لكل من حشد السماء . فأخرج ذلك
أو تلك المرأة . . . وارجمه بالحجارة حتى يموت »

• • •

ولانتعير هذه الحقيقة عما يقال - تأييدا أو تصيدا - لنسبة الكتب
الخمس الأولى من العهد القديم إلى موسى عليه السلام أو نسبة بعضها
إليه وبعضها إلى الأنبياء من تلاميذه وتابعيه . فإن أسياء بن إسرائيل
جميعا من عهد موسى إلى معث عيسى عليه السلام لم تكن لهم من
مهمة عبر هذه المهمة ، وهي تحذير بني إسرائيل من عبادة إله غير الإله
لدى دعاهم إليه صاحب شعيرة وتكليفهم كلها انصرفوا عن طريقه
واستبدلوا ملكه مئة أرباب آخرين ، وهؤلاء إلياس وأرميا وحزقيال من
أشد البغاة على بني إسرائيل في هذا الأمر لم يتحرد أحدهم لرسالة غير
هذه الرسالة . ولم يكن عم إلياس إلا أن يحذرهم عاقبة « إغاطة الرب »
إذ كان عمرى قد ملك على إسرائيل . . . وعمل الشرى عيسى الرب
وبلعت سيناته أضعاف سينات من قبله وسار فى جميع طرق يربعام بن
ناص وى خطيئته التى جعل بها إسرائيل يخطئ لإغاطة الرب
بأناطيلهم . وملك آحاب بن عمرى فأنخذ ابنة ملك الصيدويين
روحة وسار وعد البعل وسجد له وأقام مذبح له فى بيت البعل الذى
بناه فى السامرة »

ولم تكن رسالة أرميا إلا كهذه الرسالة حيث أئذهم فى بعض مراتبه
فائلا • إنكم تبحرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى لم
تعرفوها الأساء يلتقطون حطب والآباء يوقدون النار والساء يعجن

العجيين ليصنعن كهكما للملكة السموات ولسك اسكائب لآلهة أخرى
كى يعيطولى « ويمضى السى مندرا متوعدا ناعيا على عشائهم
جميع « أنهم أبو، أب يسموا كلامى ودهبوا وراء آهة أخرى يعبدها
ونقص بيت يهودا وبيت إسرائيل عهدى الذى قطعتة مع آنائهم »

ومثل هذا الوعيد يسمع من كتاب حرقيل حيث يقول لشيوع
إسرائيل « بى آحد بيت إسرائيل يخلوهم لأسهم كلهم قد ارتدوا عى
بأصامهم . وبن كل إسان من بيت إسرائيل أو من العراء
المتعربين فى إسرائيل يرتد عى ويصعد أصامه إلى قلبه ويحىء إلى
السى ليسأله عى فإلى أب الرب أخيه بنفسى وأجعل وحيى صد ذلك
الإسان وأحده آية ومثلا وأستأصله من وسط شعبى فإذا صل
السى ونكلم كلاما فإنا الرب قد أصلاصت ذلك السى وسأمد يدى عيه
وأبيده من وسط شعبى إسرائيل . . . »

فشعب بى إسرائيل لم يستعن قط عن الإقناع المتتابع للإيمان بالإله
الواحد الذى دعاهم إليه موسى عليه السلام ، ولم يتحرك من مصر فرارا
بعقيدته من كانت هذه العقيدة هى وسيلة الإقناع لجملة عبي السادة
نفسه من عواقب لقاء حيث طاب له اللقاء . ولم يرب فى الطريق يحتاج
إلى تجديد هذا الإقناع فى كل مرحلة ويحى إلى العودة بعد كل بقلة ،
وطل كذلك بعد انتهاء أيام التيه وإيرائه إلى القرار عند أرض كنعان

وشاة موسى اتى عرفهاها من مصدرها الذى لا مصدر لنا عبره هى
التي تطابق بين هذه الشاة وبين لرسالة الموسوية كما وصحت من الكتب
المنسوبة إلى موسى والكتب التي بسنت إلى الأشياء من بعده . فخلاصة

هذه الشأفة أن كلیم الله تربی فی مصر وخرج منها حقیة بعد مقتل
 المصری الذی صرعه موسى انتصاراً لرحل من بنی اسرائیل ، ولم یکن
 خاطر الخروج بنی اسرائیل قد حصر له أو لأحد من دوی الرعامه بین
 عشائر قومه ، ولكنه عاش فی اسیرة بنی حواری الهدیه السویه فی أرض
 مدین ، ورص منه علی حیاة لسلك والاستلھام وهو یصكر فی أسرته
 وقومه ویرو الأرض من حوہ . وتلقى الدعوة الإلهیه بعد طویل انتدر
 والریاضة فعاد بنی مصر لإقناع قومه بدعوته وإقناع السادة الحاکمین
 أن تیسر له ذلك دفعا للمحظر عن منته وعقیدته ، ولم یکن یرصیه فی مدین
 من طوابع لسیرة وحواییمها أن یبلی شعب بنی اسرائیل حیث استطاب
 البقاء ، لأهم رأی لهم مصیر فی لبادیة أكرم من هذا المصیر ورأى أن
 العقیدة لئی دعاھم إلیها کھمة بحایثهم من اصیاع بین العشائر والملل فی
 رص البادیة أو أرض الحصاره

وهذا هو حکم التوفیق بین الشأفة والرسالة فی حیاة انکم عبیه

سلام

وقد عرصت لادی خلال هذه اسیرة قصة مدین ودعوها السوہ
 لئی أشارت إلیها کتب اسرائیل من بعد ولم تاكر شیء من التفصیل فی
 عبر القرب اکرم . ونکھا جاءت بالشأفة والرسالة موافقتین دلت
 توفی لادی یعی عن کل دلیل علی صحة لأصل الأصل

قد عن مدی القوافل فی کتبا عن بنی الأسیاء برھیم الخلیل
 . ما لأسباب السیئة لئی أوحیت قیام المدعوت السوہ فی ثلث المدین
 هئی أسباب کثیرة لم تکر توحد یومئذ فی عیها سہد القوہ وسہد
 الکثرہ . وقوی تلك الأسباب مساوی الاحتکار والاستغلال . فإن

تجارة العام إذا توقفت على مدينة ما ومدينة ما ، سدت في كل مدينة
 في فئة معينة من سادات وصحابة سائر يحتكرون المصاغة وينقل
 ويرعون في تساليب معاكسة ورفع الأسعار وزيادة بصرائف والأحور
 على أرجل ومطام وحيد خرسنة ونعمت هؤلاء يحتكرون فرصتهم
 فيحددون النقص واختلاف على الأصول والشرائع وحدود ما غير
 وشباب من لوارد والمصدر والمعادى والرائع ولا حيلة لمسح فبيهم ولا
 ما في التجارة لأهم ما يصر على الرماء ويس في قدرة دولة أن حاربه
 لا لا اشتباك في حرب مع دولة أخرى أو يبعث أموال في عبور وخصا
 يد على الأموال التي يخصصها لمحتكرون أو يخلصها ويدعه هؤلاء
 محتكرون في خشيعة وتحكم حتى يدفع الدول إلى تخافة بالعداء مرد
 ريحوا من مرت

«كذلك صنع أتيجون خليفة الإسكندر مع هذه المدن في
 زمانه وهي سبع - أي الداء - فحرد عنها حملته ولم يفتح في غزوه
 وهاجمها تر حال بقوة كبيرة فدمرها وحول الطريق منها إلى بصرى - وم
 من من حوضا غير مدد صغير»

ب آفة مدين هي هذه مدن على مدارحه الطريق وأن قصتها في تقرأ
 لكريم هي قصة التجارة المتهكرة واعبث بالكيل والميراث وحسن الأسعا
 والترص بكل مباح من مباح الضريق وليس أدنى عن حدود من
 سوف في من شأه والرسالة كما جاءت في موضع مختلفة من أسود
 وإحداها سورة الأعراف

«وإن مدس حاشه شعبيا قل يا قوم اعدوا لله ما لكم من له مد

قد جاءتكم بينة من ربكم فاعرفوا الكيل والميزان ولا تحسوا الناس
 شيئا هم ولا يفسدوا في الارض بعد صلاحها دلكم خير بكم ان كنتم
 مؤمنين ولا تفعلوا بكل صراط تدعون وتصدون عن سبيل الله من
 من به ونعوها عرجا وادكروا دكنتم فيلا فكثركم وانظروا كيف كان
 عاقبة المفسدين . وب كان طائفة منكم آمنوا بآياتي أرسلت به وطائفة لم
 يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بما هو خير لعاكمين . قال ملا الدين
 سكرتو من قومه لبحر حدث يا شعيب واندس بموا معك من قريتنا أو
 لتعود في مبتدأ قال أو لو كنا كارهين قد اقمنا على الله كذب ان علما في
 ملككم بعد إذا عانا الله به وما يكون لنا أن نعود في إلا . يشاء الله ربنا
 وسع ربنا كل شيء عما على الله تو كسا ربنا فتح بيضا وبين قومنا بالحق
 وأنت خير بما تحيي . وقال الملا الدين كهروا من قومه لن اتبعكم شعيب
 بكم إذا خسروا فأحسنهم الرحمة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين
 كذبوا شعيبا كأن لم يعمو فيها الذين كذبوا شعيبا كذبوا هم الخاسرين
 فتوبى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف
 أنسى على قوم كافرين .

مرساة شعيب عليه السلام: بما كانت رسالة خلاص من شرور لا حنكار
 والخذاع في البيئة التي تعرضت به بحكم موقفها من طريق التحارة
 والمرفق المتبادلة بين الأمم . والأعجب على التقدير أن جزيرة العرب
 تعرضت بصروب من هذه الآفات وجاءت برسالات نبي تصلحها في
 باب الحاجة إليها . ومنها رسالات هود وصالح ودي النكل وإخوانهم
 بن الرسل الصالحين الذين لم تقصص علينا أخبارهم في كتاب

عيسى عليه السلام

وقد احتتم عهد السوء والرساة في بني إسرائيل بظهور عيسى عليه السلام . ولا يعرف عن نشأته في صمولته غير القليل ولا يعرف شيئاً عن أيامه من الثانية عشرة إلى ثلاثين معناه إلى قومه من بني إسرائيل . ولكن نشأة العصر كله من وجه الاستعداد لسوءه ، معروفة بعض التفصيل كما أشرنا إلى ذلك في كتاب عقربة مسيح

في عصر ميلاد « ربنا المخلص » سائر المدعو الإلهية من كل جانب كما يدرك المرصدون كوكباً حار موعداً طويلاً « وكان موعد لألف الرابعة من تاريخ الخليفة موعداً مقدوراً في عرف الأكثرين بظهور المخلص الموعود

وكان اليهود في عصر ميلاد هريطين هريطين يترقب الخلاص على يد رسول من ذرية داود عليه السلام . وفريق آخر وهم السامريون يوافقون ميكلا خاصاً في حرزيم . « ومن المحقق أن هؤلاء السامريين كان لهم شأن في تطور لفكرة مسيحية أو فكرة الخلاص المنتظر على يد رسول الموعود . وهم ينتسبون إلى يعقوب ويدعون أنهم دون غيره المديرون باسم الإسرائيليين »

وقد تكاثروا المديرون قبيل مولد السيد المسيح وهم المديرون بصحة المخلص المنتظر . لأن مولده عليه السلام « وافق نهاية الألف الرابعة من بدء الخليفة على حساب لتقويم لعبري » وهو الموعد الذي كان مسطراً لعنة المسيح الموعود . لأنه كان يتصورونه على رأس كل ألف سنة ومهم من كان يقول إن اليوم الإلهي كان ألف سنة كما جاء في التوراة

وثاني عصر الدنيا سموع إلى . بمعنى ستة أيام منه في العناء والشقاء وثاني
 اليوم السابع بعد ذلك كما يأتي يوم السبت نراحة والسكينة . هلدوم ألف
 سنة كاملة هي فترة الخير والسلام قبل ههنا العالم . ولا يزال العريون
 يعرفونها باسم الألفية Mellinium ويطبقونها على كل عصر موعود
 بالسعادة والسلام . والذين فلدروا أن القيامة تقوم بعد سبعة آلاف سنة
 من بدء حقيقة كانوا يؤجلون قيام ملكوت لسماء على الأرض إلى نهاية
 الألف السادسة وبومئذ تسود دولة المسيح الموعود . لكنهم كانوا
 كغيرهم في انتظار رسوب من عند الله كليا . انتهت ألف سنة من بدء
 الحقيقة . كانت بدءاً لألف الخامسة موعداً مطوراً أو مدوراً يكثر فيه
 المديرون . لعلهم يحسون من حمد الخلاص أو فعل واحداً منهم يسعده
 التقدير فيكتب الخلاص على يديه . والمهم في أمر المديرين بالسنة إلى
 سيد المسيح أن النبي يحيى المعتسل بوحنا المعمدان كان علماً من
 أعلامهم المعبودين . وكان السيد المسيح يعتمد على يديه أو بأحد العهد
 عليه . وأن بعض مؤرخين بحسب السيد المسيح من المديرين ويقتبس
 عليه الأمرين المديري والناصري وهما في اللفظ العبري متقاربان . ومن
 هؤلاء المؤرخين من يزعم أنه لم يكن من الناصرة بل يزعمه أن الناصرة لم
 يكن لها وجود لأنها لم تذكر قط في كتب العهد القديم . ولكن
 الأدهج في اعتقاد أن الناصرة نفسها كانت تسمى بذيرة بمعنى الطبيعة
 عندما كانت على تخوم الأرض التي فتحها العبريون قديماً . وأنها كانت
 مرقاً صالحاً للاستصلاح لأن التلوي التي تحيط بها تكشف جبل شيخ
 والكرمل والمرج المعروف باسم مرج ابن عمير . . .

ولا شك أن السيد المسيح قد اتجه بدعوته إلى إسرائيل وشمى بها

لهداية « لحراف ست ، سرائيل الصالة » ولكنه ععم لدعوة بعد تكرارها
 عن القوم ولخاحتهم في الإعراص عنها ، فوجهها إلى كل مستمع ها مقل
 عليها . قال هم إن العاملين بالخير درية لإبرهم خميل أقرب وأوفى ممن
 بدعون المسة إليه بالسالة . لأهم هم نأؤه بالروح . وصره هم انشل
 بومة العرس انى ، يحصرها مدعوون إليها . فعصب السيد وقال
 بعده . اذهب عحلا إلى طرقات المدينة وأرقها وهات إلى عن تراه من
 المساكين . فعاد العد وقال لسيده . قد فعلت كما أمرت ولا يزال في
 لرحمة مكان . قال السيد فادع غيرهم من أعطاف الطريق وروايه حتى
 يمتلئ بيى . هل يدرك عشائ أحد من أولئك الذين دعوت فلم
 يستجيبوا الدعاء .

ولم تكن رسالة السيد لمسيح رسالة تشريع . لان الشريعة الدينية
 كانت في أيدي أحرار الهيكل والشريعة الديوية كانت في أيدي أتباع
 قصر ، وبكاه عليه السلام قد جاء بالفتح المبين الذى لم يسقه به سابق
 من الرسائل في تصحيح الشرائع يحملها . فقد حطم عنها قيود النصوص
 ونقلها إلى مقياسها الصحيح وهو مقياس الصمير . ومن تحطم النصوص
 أن يكون نساء السبي هم أتباعه بالروح وإن لم يكونوا من دريته بالخسد .
 ومن تحطم النصوص كذلك أن يكون الخير في صمير لإنسان لا في مطهر
 من مظاهر العالم فإن ملك صميره فقد منب كل شيء . وإن ضيع
 صميره لم يعن عنه العالم بما وسع من أناس وحطام

رسالة النور الجديد

وما تقدم نحن بمطابقة بين الشاة والرسالة السوية عن مقاصد ثلاثة
 تطوى في هذه الرسائل

فهي الرسالة التي تنصوي في تكاليف لرعاية ، فتأتي الدعوة الإلهية
لتذكير رعيهم القوم من هدابتهم الروحية لأنه مطالب بقيادتهم في جميع
أشئون

ومنها الرسالة التي تقوم على منفعة أمة من الأمم لحراستها في وجه الأمم
الأخرى . وانتابرة على تذكيرها بحاجتها إلى تلك الحراسة

ومنها الرسالة التي سنطرها القوم تحقيقا لوعود معاقبة يصرها كل
مهم بما يبتغيه

ثم قامت بعد هذه الرسائل جميعا رسالة محمد عليه السلام . فهم
ستعرفها مقصد من هذه المقاصد . إذ لم تكن تكاليف رعاية ولا رسالة
مقصورة على منفعة أمة ولا تحقيقا لوعود مستظرة يصرها كل واحد
بمنه

رسالة محمد عليه السلام رسالة إلهية قوامها أن الله حق وهدى . وأن
الإيمان به حل وعلا مطلوب لأنه حق وهدى . هذا الإيمان أعلى
وقدس من كل إيمان لأنه إيمان بالحق والهدى

لم تكن رعاية محمد على قومه ساط تلك الرسالة . لأنه جاء بها بشرا
كسائر البشر عليه من أمانة الهداية ما على الإنسان للإنسان رعييا كان أو
غير زعيم

ولم تكن منفعة الأمة العربية ساط تلك الرسالة ، لأنها إيمان برب
العالمين ، ولا فضل فيها لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حشوي إلا
بالتقوى

ولم تكن مفاضاة لوعود . لأن الإسلام لم يعد أحدا من العالمين بغير
ما وعد به الناس كافة في جميع البقاع والأرضين

نزاهة العبادة

تعود بعد المصابين بداء الهدر من المؤرحين العربيين أن يتكلموا عن
راحة العادة ربا كروا النعم السماوى كما وصفه الإسلام بين الفائض
الذى نقدح فى العادة التزينة

وما من دين من الأديان خلا من مبدأ الثواب والعقاب ، وما من
أمة من الأمم فى عصر الدعوة لإسلامية كانت صور النعم السماوى
عنده مقصورة على صورة واحدة تؤمن بها ولا تؤمن بعبره

فمن الإيمان بالثواب والعقاب محلا لراحة الدين . وما من دين
يستحق أن يسمى دينا يسوى بين الصالحين والمفكرين أو يحجر على
المفكرين أن تطمح إلى النعم الذى ترتصيه

أما الميراث الحق للعبادة الربية هو الصفة التى تنصفها الإله بعبود
ومن أحلها يتعد له المؤمنون

وأمره العادات - ولا ريب - هى العادة التى يدين بها المؤمن لله
حل وعلا لأنه حق وهدى ، ولأن الإيمان به هو الصلق والصواب
هذه العادة أمره من العادة التى تتحه بها الأمة إلى الله لأنه يقوم
مقام الحارس فى وجه الأمم التى تحشها ، وهى أمره من العادة التى تقوم
على تقاضى الوعود أو العادة التى تقوم على تعلق المرءوس بتكاليف
الرئاسة ولرعاية أمانة إسان يدعوها إخوانه فى الإنسانية ، ويرفع
مكاتبها فوق مكان أنها نشأت فى حرية العرب حيث لا عرانة أن تكون
لرسالة أمانة رعاية أو تكون حراسة أمة ذات عصية أو تكون على

للإحسان منفعة محدودة في وجه العام كي نجد الصحرَاء ما حولها من الصاع والأرصين

سيد المرسلين بحق من جاء برسالة منزلة المثلث . وهذه هي رسالة محمد شهادة العقل حين يقابل بين قارئ ولأمثال . قبل شهادة اثنين بدينه أو المنعصب لعصته والمقلد لما يحميه التقيد عليه

الوساطة

يقوم لإسلام على خمس فرائض : هي الشهادتان ، والصلاة ، والصيام ، والركاة ، والخرج إلى بيت الله

ولا تتوقف فريضة من هذه الفرائض الخمس على وساطة بين الخالق والمخلوق ، فحيث وحد المسلم بين وسعته أن يؤدي صلاته و « استيا تكويو فم وجه الله »

وإذا وحيث صلاة جماعة فكل مسلم بحس الصلاة يجوز له أن يؤم المصلين حيث اجتمعوا . ولا يشترط اجتماعهم في مسجد معلوم

ويحتاج المسلمون إلى الحكمة لتوقيت شهر صميم . ولكم يحتاجون إليه لأن وسائل الرصد والتعميم تيسر له حيث لا تيسر لكل فرد من أفرادهم ، شأنه فيما عدا ذلك كشأن جميع المسلمين

وإذا حج مسلم إلى بيت الله فليس في بيت الله كاهن يقدم له قرابه أو يملأ عليه شعائره ، وإنما يقرب نفسه ويقوم شعائره نفسه ، فإن جهل حكما من أحكام الحج وإنما يسأل عنه سؤال المتعلم للمعتم ولا يحتاج في قبوله إلى وساطة من وسيط

ويصح للتسلم أن يؤدي ركاته كما يصح له أن يسلمها لولي الأمر
بجمعها ويفرقها على مستحقيها . ولا عمل له بها يسم به المريضة
بعد أدائها

• • •

هذه الفرص التي تهرت عن اوساطة بين الإنسان وربه قد تفهم
على أنها مصادفات منكرة عن صعوبة التكرار وتوقع بين هذه
المصادفات . لولا أنها متممة مستوفاه بعقيدته لتزبه لبي ارتفعت إلى
عاليها في الإسلام وإليه في لعقيدة الإسلامية مره عن المشابهة والمقارنة
والمرر والمحاكاة ، وليس كمنته شيء ، ولا وسيلة لإنسان إلى رؤيته من
حيث لا يراه الآخرون

ومن الحسير على بعض المشتعين بالمقارنة بين الأديان من العربيين أن
يبدؤوا للإسلام بهذا التقديم لكثير في تزبه العقيدة وتزبه الفكرة
الإلهية ، وأيسر من ذلك عليهم إن يحسوه ضرورة من ضرورات
لشأق في الصحراء ، حيث يتعود على التحريد ولا يمر إلى لمخامة
بروعة الساء

وبكى العقائد الدينية شأت في صحراء العرب وفي غيرها من
الصحارى قبل الإسلام ، ولم تشأ في إحدى هذه لصحارى محردة من
شوائب الوثنية والبطوطمية وصروب الكهانات والوساطات بين الإنسان
وطبقات من الأرباب دون مقام الإله الواحد المنزه عن لأشاه
والنظراء ، وكانت لكعة في مكة ملائى بالأصنام والأوثان بتحدوها كما
يقولون لتقرهم إلى الله رلى ولا يحسون أنها ناقص طسعتهم
لصحراوية في التدبى والمعادة

ومما هات أصحاب المقارنات أن يدكروه في هذا الصدد أن الأمم
التي تدس لسلطان الممالك وتقدر على تفهم البناء إنما كانت تثوب إلى
هيككل واحد تتبعه سائر أجيال كل ويستأثر كاهنه الأعلى بالوساطة بين اتباعه
وبين الله ويصلي من قداسته ما يشاء على ما يشاء . فإذا وجد في
الصحراء هيككل متفق عليه بين القبائل فهو أخرى أن يمتار بالتعظيم
والتقديس وأن تحيطه التدرة رعاية خاصة لا تظفرها المعابد حيث يكثر
البناء

• • •

وأولى من ذلك بالنسبة أن الإسلام يحارب سيطرة توحيد الهياكل
وتوحيد صوامع الصحراء وحياها وفي اتوايت التي يحمل من مكان
إلى مكان كتابوت بني إسرائيل ، لأنها سيطرة لكهان وارهبا التي
تسطر الناس على رقاب الناس باسم الدين « بأما الذين آمنوا إن
كثيرا من الأحبار وارهبا ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن
سبيل الله » . وكل مسلم مهى بحكم دينه أن يقبى آثار الأمم الذين
حكوا فيهم رؤساء دينهم و « انحدر أحبارهم ورهباهم أربابا من دون
الله »

فليس لرئيس الدين في الإسلام من فصيلة غير فصيلة العم والموعظة
الحسنة ونسبه العاقلين من دوى السلطان « وما كان المؤمنون لينسروا
كافة هؤلاء من كل فرقة منهم طائفة يتفقها في الدين وليبدوا فومهم
إذا رجعوا إليهم يعلمهم يحذرون » وذلك هي العريضة العامة التي يدبها

من يقلد عبيها من ورثة الأنبياء ، وهم . » أمة يدعون إلى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

• • •

هدى موقف للإسراء في الكون كله بين يدي الله بغير وساطة ولا
فاصل ولا حجاب ، تقدم به لإسلام ولم تمهده به النادية ولا المدينة ،
ولكنه نتيجة من تلك النتائج الإلهية الكثيرة التي تقصر عنها السوانق
والمقدمات

دين الإنسانية

قلنا في صدر هذه الرسالة إننا نتبع فيها المقدمات ونقسمها إلى قسمين مقدمات كافية لتفسير لوائح التي تأتي بعدها . ومقدمات غير كافية لتفسير جميع النتائج التي تدل على أنها . وقد تدور هذه النتائج كأها منقطة عن تلك المقدمات أو مستعينة عن تفسيرها

وعن يرى في فصول هذه الرسالة تفاوتاً بين المقدمات في كفايتها . ولكنه لم يبلغ قصده ملاحقة التفاوت في مقدمات دين الإنسانية ولا في مقدمات السوء كما سطناها في موضعها فلو أن جميع الأديان التي عرفها الناس قبل الدعوة المحمدية وضعت أمام الباحثين يومئذ لاستطاعوا أن يستخلصوا منها ظهور دعوة دينية تحاطب أمة الإنسانية جميعاً من خزيرة العرب على الخصوص .

ومن الواضح أن يفرق بين دين التوحيد ودين الإنسانية في هذه الخصلة ، فقد وجدت أديان تدعو الأمم إلى توحيد قل دعوة الإسلام . ولكنها لم تكن تدعوهم لأنها تسوى بينهم وترى لهم حقاً واحداً في عبادتهم ، بل كانت تدعوهم إلى عبادة ملك واحد في السماء وملك واحد في الأرض . كأنها مسألة سيادة لأمانة مساواة

وقد جاءت الدعوة إلى التوحيد قبل الإسلام من طريق توحيد الدولة وحرص السطان الواحد والعبادة الواحدة حيث تسط سلطاناً ، إذ كانت القبيلة القوية تتغلب على القبائل الصغيرة فتعمر عليها عبادة ربها وطاعة رئيسها ، ثم تعبد الشعب القوى على الشعوب الصغيرة فيعمر عليها عبادة ربه وطاعة أميره . ثم تمتد حدود الدولة وراء بلادها فتصبح

لها الصفة « لعالمية » ونحسب الأرض كلها عندنا واحداً حصصاً لشرائعها
وشرائعها . فلا يطاع فيه ملك غير ملكها ولا يعبد فيه رب غير ربها .
ولا يأتي هذا التوحيد على سبيل نسوية بين الغالب والمغلوب أو على سبيل
هداية والإرشاد . بل يأتي على سبيل تفهيم والإحصاء وتحرير المغلوب
من سادته في الأرض وسادته في السماء على السواء .

وعلى هذه السمة جرى الرومان على إخضاع يهود حين فرضوا عليهم
عبادة « للإمبراطور » في هيكلمهم ووضع الشجرة الرومانية على محاربيهم .
فلم يرضوا عليهم ذلك هداية لهم أو عترها بمساوئهم . بل فرضوا
لإخضاعهم وتحريم كل معبود في الدولة غير معبودهم . وهكذا صنع
غير الرومان في مصر وبابل والبلاد الفارسية
إن هذا « التوحيد » وحد قبل الإسلام .

وكما أتت شئ من دين الإنسية الذي بعينه . وهو الدين لدى
يتجه إلى جميع الأمم بدعوة واحدة على سمة المساواة بين الشعوب
والأحساس والتماس الهداية للغالب والمغلوب . فشتان دعوة إلى توحيد
العبادة تقوم على السيادة والاستعداد ، ودعوة إلى توحيد للإنسية في
حقوق وحدة وهداية واحدة وإيمان واحد بالله لا إله غيره يتساوى
الناس بين يديه ولا يتفاضلون بعير لفضل والصلاح .

قد كان الإله عند العبريين يسمى إله إسرائيل ويخص من أساء
إبراهيم ذرية يعقوب بن إسحاق دون سائر العبريين .

قال يوشع : « هكذا قال الرب إله إسرائيل »
ويقول الشعب في كتاب الأيام « ألت أنت اله الذي طردت

سكان هذه الأرض أمة شعب إسرائيل وأعطيته لنسل إبراهيم خبيث
إلى الأبد . . . »

وقال داود في سفر صمويل الأول « مبارك الرب إله إسرائيل
الذي أرسلك هذا اليوم »

وفي سفر الأيام « حصننا يا إله خلاصنا ، واجمعنا وأبقنا من
الأمم لحمد اسم قدسك ونعاخر بتسحتك مبارك الرب إله إسرائيل
من الأزل إلى الأبد . . . »

ويطمئن نبي إسرائيل في هذه لحظة وإن لم يستحقوها بولاء أو
إيمان ، ويتنأ المتشكون والأنبياء فيسعون عليهم حياة لإلهكم في سفر
أرميا « إن آباءكم قد تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى وعدوها
وسجدوا لها وإياي تركوا وشربوني لم يحفظوها ، وأنتم أسأتم في عمسكم
أكثر من آباءكم وها أنتم داهيون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير حتى
تسمعوا لي . . . »

ولكنهم يعودون فيسمعون من صاحب الديار أن الله يريدهم شعباً
له « واحصل عيني عليهم للخير وأرحمهم إلى هذه الأرض وأنبيهم ولا
أهدمهم وأعرسهم ولا أقتلهم وأعطيهم قلبي ليعرفوني أنا الرب
فيكونوا لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً لأنهم يرجعون إلى بطل قلوبهم »

ودامت هذه لعقيدة إلى عصر ميلاد فتيات العقول بعقيدة أرفع
مهما وأعدن وأقرب إلى المساواة بين الناس ، فكان يحيى المعتسل (يوحنا
المعمدان) يزعج هذه ثقة بالخلاص لغير سب من عمل أو إيمان .
ونخاص لقوم كلما عمادوا في اعتزازهم بالنسبة إلى إبراهيم الخليل قائلاً :

إن الله قادر على أن يخلق لإبراهيم أبناء من حجارة الأرض ، فإن لم يخلصوا في إيمانهم فلا أمل لهم في الخلاص

وتحولت الدعوة المسيحية من بني إسرائيل إلى الأمم على الرغم من بني إسرائيل ، لأن السيد المسيح شبههم بالمذعورين الذين أقام لهم العرس فتعللوا بالمعذير وتخلفوا عن احابة الدعوة . فقال هذا إلى اشترت حقلا وعنى أن أخرج فأنطره . وقال ذلك : إلى اشترت ارواجا من انقر وسأمصى لأجرها . فعصب السيد وقال لعهده اذهب عجلا إلى طرقات المدينة وأرقها وهات إلى من تراه من المساكين . فعاد العدد وقال لسيدته : قد فعلت كما أمرت ولا يزال في الرحمة مكان قال السيد . فادع غيرهم من أعطاف الطريق ورواباه حتى يمتلئ بيتي فلن يدوق عشائي أحد من أولئك الذين دعوت فلم يستجيبوا الدعاء .

ولم تتحول الدعوة المسيحية عن بني إسرائيل إلا بعد إغراضهم عنها وإصرارهم على الإغراض في كل بقعة من بقاع فلسطين توجهت إليها دعوة السيد المسيح وتلاميذه . أما قبل ذلك فكانت الدعوة مقصورة عليهم صريحة في تقديمهم على غيرهم من الأمم : « ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نوحى صور وصيده . وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمنى يا سيد يا ابن داود انى عنتونة جدا ، فلم يحبها بكلمة . فتقدم إليه تلاميذه وطلبوا إليه قائلين . اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال . لم أرسل إلا إلى حراف بيت إسرائيل الصلاة فأنت وسجدت له قائلة يا سيد ! أعنى . فأجاب وقال . ليس حسا أن يؤخذ خبز الهن ويطرح للكلاب . . فقالت

نعم ياسيد الكلاب أيضا تأكل من انفات الذي يسقط من مائدة
أربابها حينئذ احاب يسوع وقال ها يا امرأة عظيم إعداك ليكن لك
ماتريدين . . . »

وتحولت دعوة السيد المسيح ودعوة رسل مسيحيين إلى الأمم غير
مقصودة على بني إسرائيل . ولكم كنوا تدعون الأمم لأنهم أحق
بإبراهيم من أبنائه بالحد . إذ كان المستحيون لدعوة أبناء إبراهيم
بالروح .

» . . .

وإذا رجع تاريخ الأديان قبل ألفي سنة لم يوجد منها دين واحد
حررت دعوته من نطاق القومية فعمت شعوب لإسبانية على اختلاف
أصوبها وأجناسها

وقد وجدت في الصين شعوب بلغت في ذلك العهد مائة مليون أو
تزيد ووجدت في الهند شعوب تقاربها في العدد ولم يعرف هؤلاء ولا
هؤلاء دعوة الإنسانية إلى دين واحد بل كانت لصين تدين بعبادة
الأسلاف كل بيت له هيكله ومعابده على حدة ، وكانت دياناه الهند
ديانة الطبقة العالة يفرق لأحبار تلاوة سمارها وبحرمون على الطبقات
المحرومة تلاوتها ولتعرض لهما وفسيرها ، ويقون حوتاما رشي في
بعض كتب الهند : « إذا سمع القيد رجل من المنوذيين فمن واجب
الملك أن يصب الرصاص المذاب في أذنيه » .

» . . .

هذه مقدمات الدعوات النبوية قبل بدعوة محمدية بعدة قرون .
ويصف المقدمات عند هذه الدعوات . ثم يستمع الناس إلى دعوة من
يخبر بحرية العرب تنادي نبي الإنسان جميعا إلى دين واحد وبإله واحد
وحي واحد :

« يَا أَيُّهَا سَادِسُ يَا خَلْقَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَحَسْبَاكُمْ شَعُوبًا وَقَبَائِلَ
لَتَعَارَفُنَّ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ »

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ »

ويعطى رسول دعوة آيات لكتاب الذي أنزل إليه فيقول في تفسير
هذه الآيات « لَأَفْصِلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجْمِي وَلَا لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ حَنْثِي
لَا يَتَّقُونِ »

ولو لم يكن من سعة المسافة بين المقدمات وهذه التبيحة غير هـ
الذي أحسنه لكان فيه الكفاية

لكن المحب منه يصاعف ويبغض حين تأتي السيحة من أعماق
الحريرة العربية حيث مشتجر الأنساب والأعراق على نحو لم يعرف له
مثيل بين الأمم والعصيات

وبقية تبقى بعد ذلك محب فوق ذلك المحب المتضاعف
المتعاصم . فإن لرسول الذي ردى هذه المساوئ بين الأصول والأمم
يكن دون أحد من أساء الحرية كلها حسا وبسا من أنويه لشريطين .
بل كان من شرف الأئمة في الذؤانة التي يعرف بها المطراء ويعبر

المكايرون . . . وهذا الرسول هو الذى يتعلم منه الناس إيهام إذا صدحوا
واستقاموا : « فلا أسباب ييهم يومئذ ولا يتساءلون »

المسئولية الفردية

وللديانة الإنسانية مساعد و حد هو صميم كل فرد من أفرادها . فقام
يكن لهذا الصميم حساب وعليه سعة فلا ديانة لإنسان ولا لحملة إنسان .

وفكرة انتبة الفردية ، ولستوية الفردية بسيطة سهلة المهم تحدد
الحاجة إلى تطبيقها كل يوم في كل بيئة اجتماعية هو كانت الفكرة تروح
بمقدار ساطعها وسهولة فهمها ونحدد الحاجة إلى تطبيقها ما حلا المجتمع
الإنساني قط من مبدأ المسئولية الفردية منذ أوائل عهد الإنسان
بالاجتماع

لكن الواقع أن هذه الفكرة البسيطة قد أهملت وطلت مهمة من
عهد البداوة إلى عهود الحضارة الأولى لأن محاسبة الفرد لم يكن
مرجع إلى سلطان واحد إذا كان الفرد من القبيلة يعتدى على فرد من
قبيلة أخرى ويبدى أن ترصى قبيلة المعتدى أن تسلمه إلى قبيلة المعتدى
عليه ، فإن لم تسلمه « تصامت » في الدفاع عنه ووقعت الحرب بين
القبيلتين أو تعرض كل فرد من أفراد قبيلة المعتدى لأحد لثأر منه ، وقد
يتواوثون الثأر إلى الأبناء والأحفاد

ففى نظام القبيلة على « مسئولية » القبيلة كلها عن جميع أفرادها ،
ثم تطورت القبيلة وتآلف الشعب من جملة قبائل متعارفة على نظامها
القديم . فثبتت على عاداتها لصعوبة التعبير في الجماعات التي تقوم على

المحافظة ورعاية المآثورات السلفية ، ولعل من ثبات هذه العادات أن رومة التي كانت تسمى أم الشرائع جعلت الأب مسئولاً عن الأسرة وأباح له التصرف في أرواحها وأموالها . وقد باطرتها في الشرق شريعة حمورابي فحمت من حق الرجل الذي تقتل بنته أن يتسلم بنته فيقتل ليقللها كأنها لا تحسب عندهم إنساناً مستقلاً بحياته .

وكانت في الهدد حصارات تأخذ بمبدأ المسئولية الفردية ولكنها ترحم بها إلى حياة ساقطة متسلسة من حياة ساقطة على مدى الأزمنة التي لا تعرف لها بداية مبدأ أول الآراء . فهو مولود بحرثه وآثامه وكفارة تلت الحرث والآثام إلى الأجل المقدور . وليست تعاقبه مرهونة بما يعمل بعد ميلاده بل هي ساقطة لميلاده لاحقة به آماد بعد آماد

وعلى هذا تعاقبت الأجيال على همال المسئولية لفردية في أطوار البداوة وأطوار الحضارة . ولم تعرف حضارة واحدة دانت بهذه المسئولية عن البحوث والنقش فهمه الآن أو على نحو قريب منه غير الحضارة المصرية في عصور الأسر القديمة . ثم طواها الزمن وطوى معها شرائعها فلم يبق منها إلا اليسير

• • •

ولا يعيل في شرح « مسئولية الفردية » كما اعتقدنا أسس من المتدينين المكتبيين قبل الإسلام . ولكنها تشير إلى طرف منها للإيماء عما انتهت إليه واستقرت عليه عند ظهور الدعوة الإسلامية

ففي سمر لتكوين أب « نوحاً شرب من الخمر فسكر وتغرى ودخل حائه . فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأحمر أخويه خارجاً منها

ستيقظ روح من حصره علم ما فعل به الله الصغير فقال مدعوا كعبان .
عند العبيد يكون لإخوته . . . »

وفي سفر يشوع أن « عاحاب » سرق من عاثم ثقتان في وفعة عاي
فأهزم الإسرائيليون « وأحاب عاحاب يشوع وقال حقا إن قد
حطأت بي الرب إله إسرائيل رئت في أعينة رداء شنعاريا بصيا
ومثني مثقال من لفصة ولسان ذهب وربه حمسون مثقالا فاشتيت
وأخذتها وهاهي مطمورة في الأرض وسط حيمى والفصة تحتها
فأخذ يشوع عاحاب بن رارح والفصة والرداء ولسان الذهب ربيه وسائه
وبقره وحميره وعنمه وحيمته وكن ماله وجميع إسرائيل معه وصعدوا
هم وادى صجوز . . . فقال يشوع . كيف كدركنا يكدرك الرب في هذا
اليوم . فرحمه جميع إسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم
بالحجارة وأقاموا فوقه رحمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم . فرجع الرب
عن حملو عضه »

• • •

وكان القول الشائع أن عصب آدم حريرة لا يسأل ع ! وحده . بل
يسأل عنها كل ولد من ذريته

أما الدعوة الإسلامية فالمسئولية الفردية فيها شيء جديد كل اخذة م
يتطور مما تقدمه ولم يكن تنبحة قط لإحدى هذه المقدمات ، ومعجزة
المعجزات فيها إنها قامت بالمسئولية الفردية حيث يصدها كل عرف قائم
وعوقها كل نظام مصطلح عبه في المعاملات والعقوبات

قامت بها في أعماق الحرية العربية ، ولا قانون فيها غير قانون التآمر
ولا شريعة لها غير شريعة القبيلة . وتعلم الناس لأول مرة في تاريخ اسداوة
والحصارة « أن ليس بالإسبا إلا ماسعى » وأن حيلة من الأحياء
لا تؤحد حرره أسلافه ولا يؤحد حقاؤه بحريته « تلك أمة قد نحت
ها ما كنت وبكم ما كسم ولانسانون عما كانوا يعملون »

و « كل امرئ بما كسب رهين »

□ □ □

مرحلة شاسعة لم يعمل فيها تاريخ البشرية كله ما عمله الإسلام وحده
مستدثا بغير سابقة ، بل مستدثا على الرغم من العوائق والموانع
والعقبات .

ولم تكن هذه المرحلة التاسعة ناهية من نوافل الرأي على حواشي
العقيدة . ولكنها هي الفتح الأكبر من فتوح الصمير في جميع مراحل
لتاريخ إدلاقهم للعقل والالدين بغير التبعة ، ولا معنى بغير التبعة
تكاليف ولا حساب .

الكعبة

ويعود بعد هذه المقدمات جميعا إلى حديث الكعبة أو لكعبات التي
ثابت إلى قبة واحدة هي قلة الكعبة الكعبة جامعة المطاف

يدور البحث ما يدور في تاريخ العرب الديني ثم يتصل من إحدى
واحيه بتلك البيوت التي تعرف بيوت الله ، أو البيوت الحرام ،
ويقصدها الحجاج في مواسم معلومة يشترك فيها القائل من سكان البقع
القريبة ، ويتماهدون على المسانة في جوارها .

وكان منها في الجزيرة العربية عدة بيوت مشهورة ، وهي بيت
الأقصر وبيت ذي الحليفة ، بيت صعاء وبيت رصاء وبيت نحران وست
« مكة » أشهرها وأبقاها ، عدا بعض البيوت الصغار التي يعرفها لرحالهم
ولا تقصد من مكان بعيد

وكان بيت الأقصر في مشارف مقصد القبائل من قضاة ولحم
وخدم وعاملة ، يحجون إليه ويخلقون رؤوسهم عنده ويلقون قبضة من
الدقيق مع كل شعرة ، وهو الذي عماء زميرس أبي سلمى بقوله
حلفت بأنصاب الأقصر جاهدا
وما سخفت فيه المقادير والقمل !

وبيت « ذي الحليفة » كان يدعى بالكعبة اليمنية في أرض حثعم بين
مكة والبحر على مسيرة سبع ياب من مكة ، وروى البحاري أن النبي عليه
الصلاة والسلام أمر بهدمه فهدم ، وأن الذين كانوا يسمونه بالكعبة

إيمانية كانوا يطلقون اسم لكعة الشامية على كعة مكة تمييزاً بين
الكعتين

وكان بصحاء بيت رثاء يحججون إليه ويبحرون عنده فطلب حيران
« يقرءون التوراة » من ملك ايمن أن يأمر بهدمه « لأنه شيطاني » يفتن
الناس ، فأذن لها فهلماه

وفي بيت رصاء بقول المستوعرين رسة من كعب حتى هدمه بعد
الإسلام :

ولقد شددت على رصاء شدة فتركها فقرا بقساع أسحا
وعان عبد الله في مكروهاها وعزل عبد الله أعشى المحرما
أما كعة بحران فقد نعمت آثارها وكشفها الرحاة عبد الله علي في
رحله (٢٥ يولية سنة ١٩٣٦) وهي التي قال فيها الأعشى يحاطب
ناقه :

فكعة بحران حتم عليك حتى تناخى بأنواها
سرور يزيد وعبد المسحج وقيسأهمو حير أرباها
ويقول بعض المؤرخين ومهم أبو المدر - إن هذا البيت وبيت
سدود بين الكوفة والبصرة لم يكونا من بيوت العادة وإنما كانا من
المرارات الشريفة التي يذكرها السياح

اسم الكعبة

وقد ذهب المؤرخون مذهب شئ في تفسير اسم الكعبة ، فقال
بعضهم إنها كانت كلمة رومية أطلقت على كعبة مكة لتكعيها ، وأن ساء

من الروم عمل في بنائها وهندستها فاستعير اسمها من اللغة الرومية . وقيل
بل كان بناؤها من خشة ومنها شيء من الخشنة عرف العرب بناء
هذه المعابد وأمثالها لأهم أمة حياهم لم تتأصل فيهم صناعة البناء
وهؤلاء المؤرخون وأشدهم تشبثوا بالمرع ويعقلون الأصل بخدوره
وجذوعه عبيه

فهيما يكن من لغة البناء الرومي أو الخشني فالقائل لعربية لم تكن تلك
البيوت لأن البناء من الروم أو من الخش ، ولم ترد أن تشيها بيتا
يسمى « لكعبة » أو لمكعبة في اللغة الرومية . وإنما وجدت الخوخة إلى
البيت الحرام ثم وجدت لويسة إلى تلك الغاية . ولو لم يسه أحد من
الروم أو الخش بناء أحد من فارس أو مصر أو الهند أو غيرها من الأمم
التي تقدمت في هذه الصناعات وقد احتاج سليمان بن داود إلى بناء
هيكله فاستعد بالصناعات العاملين في الحجر والحداد والحياطين
البحر الأبيض إلى حواره في الشمال . ولم نغم العقيدة نعا لأصحاب
الصناعة بل كان أصحاب الصناعة جميعا ممن يجالسون تلك العقيدة
ويتسمون بسمة الكفر والإنكار عند المعتقدين بها

ولم يعرف أن معبدا سمي بشكبه أو كان به شكل غير أشكال الأبنية
التي يعلب عليها التكيف مع بعض الاستطالة . ويستمدده « كعب »
بالعربية عن اللغة العربية لأهم كانوا يعرفون كعوب الفتاة ويسمون الفتاة
كاعبا إذا كعب ثدياها ويعنون بالكعوب ويشلحون بالرماح وهي من
القصب أو من الأقصبة . فعلب أن يكون اليونان هم الذين أخذوا من
العرب كلمة الكعب وكسبة الفتاة فتصحفت في لغتهم إلى القانوب وهو
العصا التي تتخذ للقياس .

البيوت الحرام

ومنها يكر من أصول هذه الأسماء والأشكال ، فالأمر الذي لا يجوز
فيه الشك أن « البيوت الحرام » وجدت في جزيرة العربية لأنها كانت
لازمة ولم توجد فيها العادات والمعتقدات لأن أحدا اخترعها لتعد
وتقصد ، وإنما كانت العادات والمعتقدات مرعية موروثة ثم أقيم لها
المكان الذي تعد فيه وتقصد من أجله

وقد اجتمع بيت « مكة » من بيوت الحرم عالم يجتمع بيت
آخر في أنحاء الجزيرة . لأن مكة كانت متقى بقوافل بين جنوب و شمال
وبين الشرق والغرب . وكانت لارمه لمن يحمل تحفه يمشي إلى الشام ولمن
يعود من الشام تتحارة يحميها بن شواطئ الجنوب ، وكانت القبائل تنود
مها بمثابة مطروقة تردد عندها ولم تكن فيها سيادة قاهرة على تلك
القبائل في ناديتها أو في رحلاتها فليست في مكة دولة كدولة اتبابعه في
النم أو المدرة في الخيرة أو العساسة في الشام ، وليس من وراء
أصحاب الرئاسة فيها سلطان كسلطان دولة الروم أو دولة فارس أو دولة
الحشة وراء الإمارات العربية المتفرقة على الشواطئ أو بين وادي
لصحراء فهي أي مكة - مثانة عبادة وتجارة وليست حرة ملك
ستبد بها صاحب العرش فيها ولا يبالى من عنده ، وهي إن لم تكن
كذلك من أقدم أزمانها فقد صارت إلى هذه الحالة بعد عهد حرمهم
ولعالمين الذين روى عنهم الرواة أنهم كانوا يعشرون كل مادخلها من
تجارة .

كانت « مكة » عربية لجميع العرب ولم تكن كسروية ولا قيصرية

ولاتبعية ولا نجاشية كما عساها كانت تكون ذو ستفرت على مشارف الشام
أو عند نخوم الحبوب . وهذا تمبها خصائص التي كانت لازمة من
مقصودها ويحدون فيها من يبادلهم ويبادلوه على حكم المصلحة المشتركة لا
على حكم القهر والإكراه .

ولقد حاولت الدول الكبرى أن تستعني عنها بتحويل لصريق منها أو
هدم كعنتها فلم يصبح وبليت لها مكاسها ونداستها كما كانت من أقدم
عهودها وهي قديمة سابقة بكتابة سفار لعهد القديم في لتوراة . فإنها
هي « ميشة » مساريتها في سمر النكوب وهي « ميشا » التي يقول الرحالة
« برتون » إنها كانت بيتا مقصود عبادة ناس من أبناء اهدد . ويقول
الرحالون لشرقيون إنها كانت كذلك في مقصودا للصائين الذين
أقاموا في حبوب العرق قبل الميلاد بأكثر من عشرة قرون . ويرجح عن
ترحيل الطر أن سكان شواطئ ضد وخليج فارس وحدوا فيها سماحة
عبادة أربابهم علوية وأفلاك السماء كما ترددوا عليه في تحارهم من
أقدم عهود التاريخ . وكان حكمهم فيها حكم القائل الددة التي
وحدث فيها محلا لعبادة أوثانها في موسم الملح والإحرام .

ومن المحاولات التاريخية التي لاشك في بوعثها محاولة عام الهيل
ومحاولة عثمان بن الحويرث أن يدخل مكة في حوزة الروم وأن تستولى
دولة روم من ثم على تجارة المشرق كلها من شواطئ اليمن إلى مشارف
الشام

فأخيشه كانت تخشى نفوذ الفرس في اليمن وكانت تنق من دولة
روم معونة على مقاتلة لشاعة اليمنيين وكانت تحذر دولة الروم لأنها

كانت تملك الوصول إلى بلادها من وادي النيل وتمتد طريق البحر الأحمر في نهايته القصوى. فلما خرجت حيوش الخيشة بقيادة أرمهة وأرباط كانت دولة الروم من وراء هذه العروة وسيت هرعك دي بواس ملك يمن فافتحم البحر نحواده ليعرف منه. وسهر أرمهة عن عديته بعد التمكن من اليمن وشواطئها فهي «لفلس» في صعداء وبحور أن يكون مصحفة من كلمة الكليس اليونانية بمعنى السعد والمجمع أو من كدنه بكس بمعنى التكليس أو المظلاء فلما تم ساؤها أمر بتحويل الحج إليها وكتب إلى البحاشي يقول «إنه ليس عنته حتى يصرف إليها العرب أجمعين»... فقبل فيما قبل إن أناسا من العرب كانوا يذهبون إلى هذه الكعبة الحديدية ليدنسوها وأن سيدا من سادات تميم فعل ذلك وتحدى أرباب أن تصيبه بأدائها إن كانت لها قدرة لأرباب. فكان من جراء ذلك هجوم أرمهة على مكة في عام القيل المشهور

هذه محاولة لأشك في العرص منها وهو لاستيلاء على طريق الحجاز من اليمن إلى الشام

ومحاولة الأخرى كانت من محاولات السياسة الخفية لملك سيد من العرب على مكة مدس بالولاء لدولة الروم فأرصى قصر ملك مكة رجلا من ساداتها هو عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى. وكتب به رسائل يسعها قومه فعاد بها وجمع القوم إليه يرعهم في حسن الجزاء من قبضر ويندرهم سوء العاقبة في الشام إذا هم عصوه وأهول ما هالك أن يعلق أنوسها في وجوههم وهم يذهبون إليها ويعودون منها كل عام قل «يا قوم» إن قبضر قد عظمتم أمانكم ببلادهم وما تصبون

من التجارة في كعبه . وقد ملكني عليكم وأنا ابن عمكم وأحدكم ،
وإنما آخذ منكم الخراب من نهرط والعكة من اسمر والأوهاب
فأجمع ذلك ثم أذهب به . وأنا أخاف إن أبيتم ذلك أن يجمع منكم
الشام فلا تنجروا به وينقطع مرفقكم منه .»

وهذه المحاولة السياسية غرضها كما هو ظاهر كعرض تلك المحاولة
العسكرية . وكلتاها تثبت شيئاً واحداً وهو قيام كعبة الحجار على كره
من دوى السلطان في الجنوب ، وأن دولة الروم لم تكن تريد باختيارها
وإنما كانت مشعونة بها معية بتحويلها إلى حورنها فلم تستطع أن تنال منها
مباشرة ، وستطاعت « لكعبة » أن تحمط مكها على الرغم من حلو مكة
من العروش العلية على أنحاء الحرية لجميع أضرافها . بل استطاعت
ذلك خلوه من تلك عروش وقياء الأمر فيها على لتعميم دور
الانحطاط وعلى تمثيل حملة العرب بمأثوراتهم ومعوداتهم دور أن
يسخرهم المسخرون من بسندهم فريق يسخرهم تسخير السادة للاتباع
المكرهين على الطاعة وبذل الإتاوة .

قداسة الكعبة

ولأساس المهم لدى قامت عليه مكانة البيت المكي أن البيت
بحمته كان هو المقصود بالقداسة غير منطور إلى الأوثان والأصنام التي
اشتمل عليها ، وربما شتمل على الوثن المعظم يقده بعض القبائل
وتدريه قبائل أخرى فلا يعص ذلك من مكانة « البيت » عند المعظمين
والرديين ، واحتضت الشعائر والدعوى التي يدعيها كل فريق لصنمه
ووثنه ولم تختلف شعائر البيت كما يولاهها سدنته المقيمون إلى حواره

والتكلمون بخدمته ، فكانت قداسة البيت هي القداسة التي لا خلاف عليها بين أهل مكة وأهل المدينة ، وجار عددهم ، من ثم ، أن يحكموا بالصلالة على أنواع صمم معبوم ويعطر البيت عاية حقه من الرعاية والتقدير . . .

وعلى هذا كان يتفق في موسم الحج أن يجتمع حول البيت أناس من العرب يأخذون بأشتات منفرقة من اليهودية والمسيحية وعادات الأمم المختلفة ولا يجتمع بها دين واحد يؤمن به متعبدان على نحو واحد . وما من كلمة من كلمات الفرائض لم تعرف بين عرب الحاهية بلفظها وحمية معيها كالصلاة والصوم ولركاة والطهارة ومساطها كلها أنها حسنة عند رب اليب أو عند الله وحاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن الصامت أن أباذر قال له : يا ابن أخي ! صليت مرتين قبل مبعث لبي ﷺ . فسأله . فأين كنت توجه ؟ قال : حيث وجهي الله ! هـ

وحاء في الأعلى أن ريد من عمر بن نفل كان يستقل الكعبة في صلاته ويقول :

ليتك حقاً حقاً تعسدا ورقاً

عذت بما عاهد به إبراهيم مستقل الكعبة وهو قائم
يقول إني لك عا ، اعلم بها تخشعي عيسى جاشم

ودكر صاحب كتاب حجة الله السابعة أنهم كانوا يصومون يوم عاشوراء ، وكان صيامهم من الفجر إلى مغرب الشمس . وكانت لهم

بقايا من العبادات التي عرفت بين أهل الكتاب أو لم تكن معروفة على
وتيرة واحدة بين أتباع دين من الأديان . وإنما برعهم فيها أنها أعان
ترضى «الإله» وأنهم يعرفون إنما أعظم من سائر الآلهة يتوجهون إليه
بالدعاء ، وهي حقيقة لا يعنونها الشك لأهم كانوا يسمون «عبد الله»
ويلبسون فيقولون اللهم ليث . ولا يدعون أحدا من الأصنام «رب
البيت» فإذا قالوا «رب البيت» رادوا به ربا فوق جميع الأرباب

بما في هذه لرسالة بذكر المقدمات ويقسمها كما قلنا في مفتتحها إلى
قسمين قسم ينقطع دون النتائج التي جاءت بعده . وقسم يتصل بنتائج
ويشير من مبدأه إلى عاقبته في محرى الحوادث . وليس بين هذه المقدمات
المتصلة ما هو أحكم اتصالا بين أوائله وحواليه من قيام البيت في مكة
وتوثيقه قبائل العرب على حرمة واحدة .

وقد سميت الكعبة «الخمساء» واشتد إليها «الخمسة» وهم طوائف
متشددون في فرائضهم وخلاتهم يدينون أنفسهم بانتقشف وانزهد في
موسم العبادة ، فيقصون رما في انعاء لا يحول بينهم وبين سماء حائل
من سقف أو ستار . ويحرمون على أنفسهم في الأشهر الحرام أكل الأنثى
والسمن وفسن سبيح من انور والشعر . ولا يحبرون لعيرهم أن يطوف
بالبيت في غير الثياب الأحسية ويحرمون لطاف بالنيل للنساء إذا لم
تكن عنهم هذه الثياب .

ومن رعاية حوار البيت خلف الفصول احدى تعاقد عليه أسس من
عنية قريش ليصرون كل مظلوم ويردون الحق إلى كل معصوب وليكبح ندا
واحد في قتال كل عاصب ينج في طلعه وعصه اعتزرا يماه أو بعصته

وحرره . وما من مقدمة للدعوة المحمدية كانت الرم ولا أكرم من هذه
المقدمة تيسيرا لاجتماع الكلمة على الخير وتوحيد ألسنة الحرية العرسية في
دعوة واحدة ليست لدى سلطان من ملوك اليمن أو حبيح فارس أو
مشارف الشام الدين يدينون بالولاء للأكامرة وللقياصرة ولشعشيين .
بل هي دعوة الله يتلقاها أصحاب البحار والعروش كما تنهاها عمامه
الحسن من عباد الله .

أسرة النبي أجداد النبي

مدت نسب الحرام تلك المكانة العالية بين العرب كافة وحتت له
أمانة الخدمة عماله من حق محفوط وشرف ملحوظ ، ووجب لخدمته
سمت الذي يحمل هذا المقام وهو فوق مقام لرئاسة الديوية وعلى مشاة
من مقام العدة والتقديس

وم يقم هذه الأمانة أحدكما قدم بها أجداد النبي عليه السلام من بني
هاشم . فقد حفظوا حفيها وعرفوا سمها بل صدرو عليه فصره بغير كلفة .
ولذا مهم الإيمان بها في مآرق الشدة التي يمتحن بها الإيمان بح
نفس وحب النبي فيعب الإيمان على حب المرء لنفسه وحبه لسيه

وقد تنافس بنو هاشم وبنو أمية على هذا الشرف فأسمرت المناصة
سهما عن هاروق في انطباع ملحوظ الأثر في حالات الأسرتين من أيام
الخاهلية إلى ما بعد الإسلام بعدة قرون ، ومنها نجد من سب
متناصرين في هاشم ومية بلا وحدث بينهما هذا الصارق على نحو من
الأنحاء .

كان بنو هاشم أصحاب عقيدة وأريحية ووسامة . وكان بنو أمية
أصحاب عمل وحبية ومظهر مشوه . ويعقد لإجتماع أو ما يشبه الإجتماع
على تحار الخاهلية التي تم على هذه الحصار في لاسرتين وبنو الكثير
مها إلى ما بعد قيام الدولة الأموية فلم يفتندوه

ومن هذه الأحبار أخبار المفاخر المتتالية تجمعها مناصرة حرب وعبد
المطلب بن نفيـل حد عمر بن الحصاص إذ يقصى عبيد المطلب ويحاطب
حربا قائلا «أناهر رجلا هو أطول منك قامة وأعظم منك هامة وأوسم
ملك وسامة وأقل منك لامة وأكثر منك ولدا وأحزل منك صعدا وأطول
منك مذودا.

أبوك معاشر وأبوه عف وذاد لفيل عن بلد حرام»
والمسجون يؤيدون ما تواترت به هذه المفاخر ، فيقول دعصر
النسابة معاوية وقد سأله عن حده أمية «رأيت رجلا قصيرا صريحا يقول
عنده دكوان» قال معاوية «ذلك من أبو عمرو !» قال دعصر
«ذلك شيء تقولونه أنتم أما فريش فلم تكن تعرف إلا أنه عبده» .
ويقول الكشي في أساء عبد المطلب : وكانوا إذا طهوا بالبيت
يأخذون البصر

فما في كتابنا عن دى النورين عثمان بن عثمان وهو يردد
المؤرخ في قول بعض الروايات المتقدمة على علانها . ولكنه لا يحتاج إلى
الشكوك فيه من تلك الروايات لعلم هذا الفارق الواضح من حقائق
العشرين فيما أثر عنهم قبل الإسلام وبعد الإسلام في حلف الفضول
قام بنو هاشم بالأمر وقام به معهم بنو أسد وبنو زهرة وبنو تميم ، وتحلى
عنه بنو عبد شمس فلم يشتركوا فيه . وحلاصه قصته أن رجلا يمازج
قدم مكة بصاعا فاشراها رجل فبواه بحقه وأبى أن يرد عليه بصاعته ،
فقدم في الحجر أو في مكان على شرف وصاح يستغيث ، وكان من أحل
ذلك أن تعاهد أسد من بني هاشم وأنحلافهم ألا يظلم بمكة غرب ولا

قرب ولا حر ولا عبد لا كانوا معه حتى يأخذوا له حقه من أنفسهم
ومن غيرهم ، وعمدوا إلى ماء من زمزم فجعلوه في حصة وبعثوا به إلى
البيت فغسلت به أركانه وشربوه وقد أتى الأمويون وبو عبد شمس
عمامة على أحد منهم أن يدخل هذا حلف فكان أحدهم عتة بن ربيعة
يقول « لو أن رجلا وحده حرج من قومه فخرجت من عبد شمس حتى
أدخل حلف الفضول »

وردنا حتى السب استى يرجع إليه هذا الحرف بين الأسرتين . فقد
يرى بعضهم أنه يرجع إلى السب مدحوب وقد رمى للأمويون الأوائل
بشبهات كثيرة في عمود السب وعرض لهم بذلك أناس من دوى
قرباهم في صدر الإسلام وأشهر ما يشهر من هذه البشبهات قصة دكون
الذي يقولون إنه من آدئهم ويقول النسابون إنه عبد مسندحق على غير
سنة العرب في الحاهلية وما يعمل به هذا الفارق أن بني أمية كانوا
يعيون عن ديارهم ويعودون إليها فلا يطيب للمقيمين فيها أن يعترفوا لهم
بدعوى انزعامة عليهم . وأنهم أكثروا من الرحلة في بادئ الأمر خاحتهم
وقلة محصولهم من نتاج النعم وأرباح التجارة . وليس بالبعيد أن
« لعاهرة » لتي نشر إليها انحكوا بينهم وبين الهاشميين قد أورثتهم بعض
أمراضها ودست في أخلاقهم شيئا من حباثتها . وليس بالبعيد أيضا أن
الفارق بين لأسرتين إنما كان من قبيل تلك الفوارق التي يراها بين الإخوة
كأنها قسمت بينهم ميراث لأخلاق فذهب أحدهم بالحول وذهب أخوه
بالحيلة ، أو ذهب أحدهم بالكرم والأريحية وذهب أخوه بفنائصها من
خلال الأثرة والدعوى .

وأما ما كان من هذا الفارق البين لقد كان هو هاشم أسرة النبي -
أصحاب رئاسة ، ركابت لهم أخلاق رئاسة .

عرفوا بالبس والكرم والهمة والوفاء ولعمة ، وبررت كل حليقة من هذه الحلائق في حادثة مأثورة مذكورة . فلم تكن خلائقهم هذه من مناقب الأماديع التي يتبرع بها الشعراء أو من الكلمات التي ترسل أرسالا على الألسنة ولا يراد بها معانها .

كان هاشم عياث قومه في عام الحجاة ، همدل طعامه لكل مارل عمكة أو وارد عليها ، وسمى ناهاشم من ذلك اليوم هشمه الثريد ودعوة الخبيع إلى قصاعه :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورحال مكة مستون عجاف

ومما يروى عنه أنه كان أول من سى الرحلتين بقريش رحلة الصيف ورحلة الشتاء وحقيقة ذلك مما يخص لنا من سوانق الرحلات أنه كان محمى نكث الرحلات ويظلمها فسب إليه أنه أول من سى

ومكانته في غير قريش . وفي مدن التجارة خاصة . تدل عليها مصاهرته لسي الحار في المدينة . ورواحه من سلمى بنت عمرو إلى كانت - شرفها وعزها - تأتي أن تتروح إلا أن يكون أمرها بده . وهو لم يكن هاشم مقامه في الحار كله . أصهر إلى القوم ولا ارتضى القوم هذه المصاهرة من رجل يروى مدينتهم ريادة الطريق بين مكة والشام وقد كان المعهود في بني عبد مناف أنهم لا يفعلون جميعا في ديارهم وأهم لا ترل لهم همة طامحة في رحلاتهم وأسفارهم ، ومات أكثرهم في غير وطنهم . مات هاشم بعرة في الشام ومات عبد المطلب برومان إلى ناحية من أرض اليمن . ومات نوفل بسلما في العراق

واس هاشم عبد المطلب سيد فريش غير مدافع . وبيع هذا الثقال
بين الأسرتين أقصاء في عهد مسطره حرب بن أمية . فكان كلاهما
مخاضا في ماله من طرق العقيدة والأريحية وطرف السعي والحيلة
وكان عبد المطلب متديبا صادق اليقين . مؤمنا بمحرم ديه في
الحاملية لأن ثقة الإيمان طبيعة في وحدانه وهو أوب من حتى الكعة
بإذهب من ماله . ويعيبا منه أنه كان في الحق بمطافريد بين أصحاب
الطوائع التي فصرت على الاعتقاد ومواقف النش والإيثار

هلم تكن مناقبه من مناقب اطاع والوثيرة التي تتكرر على صورة
وحدة بين المتصعين بها . ولم يكن كرمه ولا حرمة ولا شجاعته من فيل
الصفات التي تعرف هذه الأسماء في جميع الكرماء ودوى حرم
والشجاعة

بل كانت مناقبه مطلية تدل عليه ولا تصدر من غيره . وكانت كنهها
مرحبا من لأففة وانرصانة والاستقلال ومواجهة نعب عى ثقة رصير
وأنفة

وهذه طائفة من أحباره لا نعتقد في واحده منها تلك المناقب المطلية
التي تغز على خيال لمتخيل مالم يكن وراءها أصل بحكيه ونرجع إليه .
وصل أثره الحشى عام الفين إلى أراض مكة وبعث رجلا من
العرب يسمى حاطة يسأ عن «أمير مكة» ويبلغه أن أثره لم يأت
لقتالهم وإنما أتى هدم البيت الحرام فإن لم يمنعه فهم في أمان من حربه
فلما لبى الرسول عبد المطلب وأبلغه رسالة أثره قال عبد المطلب : والله ما
يريد حربه ، وهذا ست الله وبيت حبيله أبرهم فإن يشأ منع بيته وحرمة
وإن لم يشأ تحل عنه ، والله ما عندنا من قتال .

قال الرسول انطلق معي بن الملك ، فاصطق معه عبد المطلب إلى أن أتى معسكر أبرهة وأدخلوه عنده .

يقول الرواة وكان عبد المطلب رجلا عظيمًا مهيب وسيمًا ضرب أبرهة عن سريره وأجلسه معه وسأله عن طمسته فقال عبد المطلب لإبل التي ساقها حديدك !

ويقول الرواة هناك أمر عبد المطلب في نظر أبرهة وقال له أتسأل عن السبع وتترك البيت الذي هو دين آبائك ودينتك من بعدهم ؟ فقال عبد المطلب أن رب الإبل ، وبيت رب يحبه فأمر برد إبل عبد المطلب دون غيرها . فأحدها عبد المطلب وقندها النعل وساقها هديا إلى الحرم ، ووقف على باب الكعبة يقول

يارب لا أرجو لهم سواك يارب فامنع منهم حكاما
ب عدو البيت من عاداك فامنعهم أن يخربوا قراكا

هذه هي « المطلبية » التي نعشا في خصال هذا الرجل العظيم لانهور مع القوة الطاعة ، ولكن لاحصوع لها بل وضع لها في موضعها وقور بناسب كل مقام ، فإذا حارمناظر أحدا لايفهم معنى هذه الأمانة التي تألف من النهور كما تألف من الحبر فهناك الخواب المعال الذي يعني ما ليس بعينه المقال . ما سألت عن الإبل لأنني أضرب بأنماها فإني قد وهبها بعد ذلك لبيت ، ونكبي سألت عنها لأنها هي موضع سؤالي ، وتركت لسؤال عن البيت لأن استعداء الرحمة من أبرهة لبيت الله يعنى الثقة بالبيت وبالله .

وقد حدث بعد ذلك ما حدث مما لاشك فيه ، وهو فتك الحديري

محمود أبرهة وإبراهيم عن البيت وحووه من أن يتقدم إليه بأذى . وإياه
 خير قد يسهل إبتكاره على المنحرفة من أدعياء التاريخ لذين يجمعون
 التحيص كله في الإبتكار . لولا أن حديث الحدرى الذى فشا (فى سنة
 ٥٦٩) مشى كما تقدم في تاريخ بروكوب Procopius انورير البيروني
 المعروف

وحر آخر من أحمار هذه المناقب المطلية أنه عاش رما قليل الولد لم
 يرق غير اسمه الحارث الذى كان يكنى به . وغيره عدى بن نوفل بن
 مناف يوما فقل له : أتستطيع علي عبد المطلب وأنت قد لا ولد لك ؟
 فأجاب عبد المطلب حواره الذى أثر عن ذلك اليوم : أنا غلة تعبر^{١٤}
 هو لله بن تانى الله عشرة من الولد لأحمر أحدهم عبد الكعبة !

وسعود إلى التعقيب على هذه القصة في حديث عبد الله بن سبي
 عليه السلام . ولكنه يحترى ما بأن يقول إنما لاسقطها لمجرد اختلاف
 الروايات فيها ، فإن أحمار الحاضر تتناقض أماما ونحن لاسكر وقوعها
 هذا التناقض . وقد احتلت الرواة في عبد الله بن عبد المطلب هل هو
 أصغر نائه حبيبا أو أصغر أسائه من أمه . ونحن ندع أنناؤه عشرة أو
 حسب منهم أبناء الأبناء . وكل أولئك لا يسقط القصة كما أسماه وكما
 يحى في سيرة عبد الله .

وملتقى الروايات في هذه القصة أنه أمر بيه أن يكتب كل منهم
 اسمه في قدح وطلب من صاحب القدح أن يصرب عليها فحرق السهم
 باسم عبد الله فهم يبهاد ندره لوم تشفع عبده ابنه العباس ورحالات
 قرش ، وتنادوا بينهم بن فعل ذلك لتكوس سنة ولا ير ل الرجل يأتي
 بانه فيدبجه ، فإن يكن فداء فبأموالك جميعا نقديه .

واحتكموا إلى عرافة بالحجار فسألهم كم الدية فيكم ، قالوا عشرة من الإبل قالت فربوا عن وديكم عشرة من الإبل ثم اصرروا عليها وعلى وديكم . ثم رددوا الإبل كل حصصها لسهم حتى يخرج سهم عليها فاحرقوه عنه . فقد رضى بكم وبما وديكم »

سعد العرافة - وعادوا إلى مكة ففربوا عشرة من الإبل وصرروا القديح فخرج القديح عن عبد الله . وحفلوا يريدون عشرة وعشرة حتى بلغ مائة وقيل ثلثائة . فخرج السهم عليها فاحرقوها وتركوها لا يجمع من لحمها يسر ولا وحش إلا صه

ومن أحاربه أن قريشا خاصمته في ماء زمزم بعد أن احتضرها وعارضوه في احتضارها . فاحتكموا إلى كاهنة بنى سعد بن تميم عشارف الشام . فركب عبد المطلب ومعه نهر من بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نهر يتقدمون . وفي ماء عبد المطلب عند بعض المغاور بين الحجار والشام فطمئ أصحابه حتى أيقنوا بالهلكة . وطلبوا الماء ممن معهم من قريش فلم يسقوهم . فجمع أصحابه وسأهم ما ترون ؟ قالوا رأينا نبع لرأيك قربا عما شئت قال فإني رأيت نبع يجر كل ما حفرته فيؤريه فيها أصحابه داما مات . حتى يكون آخركم موتا قد وارى الجميع . فصبعة رحل واحد خير من صبعة الركك كنه ثم بدا له رأى أصوب من هذا الرأي فقال لأصحابه والله إن إلقاءنا أنفسنا بأيدينا لموت هكذا دون أن نضرب في الأرض وبنتي لأنفسنا لموت العجر فهللوا برحمن . ولم يدهوا في طريقهم غير يسير حتى انصهرت عين ماء عند تحت حف راحلته . فشرابوا وملأوا أسقيتهم . ثم دعا لقاتل من قريش فقال هللوا إن الماء فقد سقاها الله فهد

أصحابه لأنسقيهم والله لأشبههم بسقود قال . نحن إذن مثلهم ، ولم
يرصه أن يعمل مثل عملهم وهو الحق والرحمان عليهم ، وعرف
انقرشيون به هذا الحق فكفوا عن منارعتي في ماء رمرم وسلموا به اسقية
التي كانوا ينفسونها عليه

ويروى عنه أنه كان له حمار يهودى يسمى أدية ، وكان له مال كثير
فقطع فيه حرب بن أمية وأعرى به فتبنا من قومه يقتلوه . فلم يزل
عبد المطلب يستقصي خبره حتى علم باعتباره ومن اعتناؤه ، فأبى إلا أن
يكفه حرب عن أدية وأحد منه مائة دقة أسلمها إلى ابن عم اليهودى
وارتفع ماله إلا شيئا منك فارتجعه من ماله .

وهذه هي مناقب « المعصنة » التي يقول إنها لا تحرى محرى الطمع
والنورية ولا تنفى عناديه عن الظرفي ملامح أصحابها ومميزاتهم في
التفكير والعمل ، وهي مناقب لا تخرع ولا يصيرها أن يضاف فيها الخبر
المخرع إن الخبر الواقع لأن الرواة المخرعين في هذه الحالة إنما ينقلون عن
صورة أصيلة تمت في أذهانهم قبل خراع أخبارهم عنها ، فحاولوا أن
تكون أخبارهم لمخرعة مطابقة لحقيقتها .

ففي كل حبر من هذه الأخبار المطيبة ، إيمان وحرم ووهاء وحرارة
على الحظر ولكن في غير معالطة ولا صطباع ، وإنما قوم دك كنه حرم
يملك زمامه ويعمل واجبه كما يراه .

وأدعياء التاريخ حلقاء أن يسألوا أنفسهم هنا سؤالا لا يغضبها أحد
يفقه معنى تمحيص الخبر ، وأولها في هذا السياق لماذا يخرع الرواة هذه
الأخبار عن عبد المطلب دون غيره ؟ وثانيها لماذا لم يخرعوها ولا
اخترعوا أمثالها عن حرب بن أمية ؟

فإذا كانت صورة الرجل في الأذهان هي علة لاختراع فهناك حقيقته
دون مائلة وراء هذه المخترعات ، وهناك دلالة في اتفاق الأذهان على
الاختراع أولى بانصديق من اتفاقهم على رؤيته العيان ، لأن رؤية العيان
تحتاج بعدها إلى البحث عما تدل .

وقد تفقت الروايات كلها على صفات عبد المطلب قبل الاتفاق على
أخباره . واتفقت الصفات ولأخبار معا على ملامح شخصية قومه
الإيمان والحرم والوفاء وصسط النفس في مواجهة القوة وخطر بعريته
لاتهورى غير جدوى ولاتنكص على عقبيها خوفا من هوان الحدوى .
وكلها صفات حذيرة بآباء الانبياء والمرسلين .

عبد المطلب

ولد عبد المطلب في المدينة وسمى « شيبه » تفاؤلا له بطول العمر في
أسرة لم يكن طول الأعمار من خصائصها ، وترى بعيدا من آل أبيه
فصدق عليه في طفولته قول القائلين في عصرنا إن الطفل أبو الرجل
لأنه كان بلاعب الصبيان من بداته فيذكرون آباءهم ويفخرون بهم عليه
وهو لا يرى أباه بينهم ، وحز ذلك في نفسه فجعلت أمه تسرى عنه
وتحدثه عن آل أبيه ومآثرهم في حور البيت الحرام ، فطال اشتياقه إلى
رؤيتهم والإقامة بينهم ، بيد أنه أحجم عن السفر مع عمه « المطلب »
حين قدم إلى المدينة لأخذه إلى مكة ، وبصر بأمه في الدار حزينة واجمة
تبكى لهراقه وتستمهل عمه عسى أن يبقيه لديها إلى عام قابل ، فقهر في
تلك السن اسكرة شوقه إلى أهل أبيه وقد عز عليه في المدينة أن يفانح

بهم لذاته بين ابنهم ودويهم ، وقهر في إبدان الطفولة ذلك لتطلع إلى
مجهول وذلك الحسب إلى المراثب وتلك الرعة في كل حركة وكل انتقال
من مكانه الذي هو فيه ، وقل لعمه بعد أن تهلل بمرآة ورحب بالعودة
معه إلى قومه لئلا أترك أُمِّي أو تأذن لي بالسفر معك راضية .

وفي سفرته تلك سمي عبد مدحل مكة بعد المطلب لأن أمها رأوه
مع المطلب لأول مرة فحسوه عبداً اشتراه . وجعلوا يدعونه باسم
« عبد المطلب » كلما أرادوا أن يغيروه من أبنائه ، فعلت عليه

وشب العلام عروفاً أي لا يستكين للهزيمة ولا ينز عن حق له أو
حق كان لأبيه ، فلما أراد عمه نوهن أن يستأثر بمنزلة أبيه هاشم وميراثه
لديه فخبى الفرصة للسفر إلى المدينة وعاد إلى مكة بعصاة من أقارب أمه
وأحواله . وهم أولو عصاة أشداء . يشاد دعوتهم في مدائح الشعراء

ولو بسأني وهب أنحت مطبق

عدت من مداه رحلها غير خائب

فتلقاهم عمه نوفل مرحبا ودعاهم إلى ضيافته فلم يقلوها أو يرصني
نناهم : فصالحهم عن ما يرضيهم ويرضيه

وصح التعاؤ في عبد المطلب فعاش حتى ناهز المائة أو حاورها
ومات والسي عليه السلام دون العاشرة فعهد به إلى كفالة عمه أبي طالب
شقيق أبيه .

وكل ما تفرقت فيه الروايات من أمره قد استقرت على صفة لا تتعرق
فيها روايات . وهي صدق التدين والإيمان بمحارم الدين في سذائته أو في

غير سدانته ، واسم ولد من أولاده عبد العرى الذى اشتهر بعد ذلك باسم
أبى هب لزهرة كانت فى لون وجهه ، ومن حديثه أنه كان يتعصب
للعرى التى عمى إليها باسمه ، وأنه رار أحد عمادها المتسكين ها فى مرض
موته فوجده يبكى ، فسأله : ما يبكيك ؟ أم الموت تبكى ولا مفر منه ؟
قال الرجل كلا . ولكنى أخاف ألا تعد العرى بعدى !

فقال أبو هب والله ما عبدت وأنت حى لأجلك ولانترك بعدك
لموتك ، فاطمأن الرجل ومات وهو يقول الآن علمت أن لى خليفة
برعاها .

وكانت لعزى بوادى حراص على يمين المصعد إلى العراق ، وكانت
قريش قد حمت لها شعبا يقال له سقام يصاهون به الكعبة ، وهى التى
يعنيها أبو جندب المذلى إذ يقول فى بعض غزله :

لقد حذفت جهدا بينا عبيظة
بفرع التى تحمى فروع سقام
ولها مسحر تذبح فيه الدبانع ويقصد إليه الخاح بعد منى كما يقول
نهيكة القرارى يحاطب عامر بن الطفيل :

بأعام لو قدرت عديك رماحنا
والراقصات إلى منى فالغيب

وشأن هذه القصة فى مناقب عبد المطلب أن التدين لم يكن وسيلة
من وسائل الرجل إلى طلب السيادة والسدانة ، وأنه لم يتدين لأنه سادن
الكعبة وصاحب المنفعة فى تعظيمها . بل كان يعظم إعزى ولا تنتفعه

له في هذا التعظيم ، وكان الدين عنده إيمان حائضا من الخيلة ومن
مآرب الكهانة .

ولا يحق أن الورثة في الطوائع لافي الشعائر وظهر العبادة ، فمن
كانت عنده عقيدة الإيمان ، لعبت والعبور بما يؤمن به عن عوارض
لأهواء وبلذات . وهان عليه سبيل المذبح ونشبهات في سبيل رصاه .
وطائت نفسه بالعداء وفرائض الطدعة والوفاء فهذه هي الطبيعة التي
تورث على اختلاف لشعائر وعبادات ، ومشها في ذلك مثل
الشجاعة في القتال ومثل السخاء بالمال ، فإب الال الذي يرث لشجاعة
من أبيه لا يرث منه ميدانه ولا تتوقف شجاعته الموروثة على سلاحه فقد
يجارب الال سلاح لم يعرفه أبوه ، وفي ميدان غير ميدانه . وقد يبدن
مال لإقامة مسجد وم بدل أبوه المال لإلحت صم أو دبح قربان على
وثر . ولا عصاصة على موارثه من شجاعة ولا موارث من سخاء

وهذه الطبيعة هي التي ينظر إليها الباصري مناقب الأسرة الموروثة .
فلو كان عبد المطلب يدهي ، لتدين ليحدع به قومه ويتدرع به إلى الرئاسة
عليهم لما كان هو عبد المطلب الذي تورث منه حصول لصدق
والإيمان . ولكنه تورث من هذه الحصول حين يصدق في معتقده
بالكعبة وبالعرى ، وحين يدين الناس بما يدين به نفسه في رئاسة هؤلاء
أناس

أبو طالب

وكان أبو طالب حبيته في الوصاية على النبي أشبه أسائه به في
جميع حصوله ومما فيه .

والخلاف كثير في اسلام أبي طالب ، إذ لم يتفق الرواة على سلام
أحد من أعمام النبي غير حمزة وانعاس وهما في مثل منه . والعاس
يكبرهما بنحو ثلاث سنوات

ولكن لاختلاف عن حبانة به وجه إياه وصره على عداوة قريش
كلها في سبيل نصرته ورد أدهم عنه ، وقد بقي في ذلك ما يطبق وما
لا يطبق . وعظم عليه الحصب واشفق من معنته عليه وعلى من أحبه
فقال له في ساعة من أشد ساعات الحرج « ثق عني نفسك يا بني
ولا تحملني من الأم مالا أطبق » فحرب النبي وحسب أنه سيحدثه
وقال له وهو يهم بمعارفته « والله يا عم ! لو وضعوا شمس في يميني
ولقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يطهره الله أو أهلك فيه
ما تركته »

فلم يرح النبي غير قليل حتى ناده عمه وقال له وهو حزين حزين
« اذهب يا ابن أخي فقل ما أحست . فوالله لأسلمك بشي ، أبدا »

وفي رواية ابن إسحاق : أن رسول الله ﷺ كان إذا حصرته
الصلاة حرج إلى شعاب مكة وخرج معه عن أبي طالب مستحفا من
نبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلون لصلوات فيها
فإذا أمسوا رجعا . فكذلك ماشا ، الله أن يمكث ، ثم إن أبي طالب عثر
عليهما يوما وهم بصبيان . فقال لرسول الله ﷺ يا ابن أخي ! مهذا
الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عم ! هذا دين الله ودين رسوله
ودين أبينا إبراهيم . بعثني الله به رسولا إلى العباد وأنت أي عم ! حق
من بدت له الصبحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أحاسني إليه وأعماسي

عليه . فقال أبو طالب : « أي ابن أحمى ! إني لا أستطيع أن
أفارق دين آدنى وما كانوا عليه ، ولكن الله - لا يخلص إليك شيء
تكرهه ما بقيت »

وقال ابن إسحاق : « وذكروا أنه قال لعلي : أي بني ! ما هذا الدين
الذي أنت عليه ! فقال : يا أنت آمنت بالله وبرسول الله ، وصدقت بما
حواه به ، وصبيت معه لله واتبعته ، فزعموا أنه قال له : إما أنه لم يدعك
إلى خير ، فالزمه »

وبر أبو طالب بقسمه وحمل السيف في سبيل محبته ، وروى
القرطبي أنه سحر أما جهل وحنة قرش في مجموعهم يوم اعتدى ابن
الزبير عليه في صلاته . وكان النبي عليه السلام قد دخل الكعبة ليصل
كعادته فقال أبو جهل : من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ،
فقام ابن الزبير فأخذ فرثا ودما فطخ به وجه النبي ، وامتل النبي من
صلاته وقصد إلى عمه فسأله عمه : من فعل هذا بك ؟ قال :
عبد الله بن الزبير ! فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه
حتى أتى لقوم ، فلما رأوه قد أقبل جعلوا يهضون فقال أبو طالب : والله
لئن قام رجل لخللته بسبي ، ففعدوا حتى دأ منهم ، وأحد أبو طالب فرثا
ودما فطخ به وجوههم ولحاهم وانصرف وهو يغلظ لهم القول

وقد تكفل أبو طالب بالنبي في طفولته الساكرة وصحبه في عدوانه
وروحاته خوفا عليه من إساءة نمسه في عيانه وانتوى السفر إلى الشام
والنبي في نحو الثانية عشرة من عمره فأشفق عليه أن يحشمه عناء السفر
العيد ، ثم تهيأ لرحيل فتعلق به العلام ابودود وبكى لفراقه ، فلم يقو

على مفارقة وهو باك . وقال لصاحبه والله لأحرقن به معي ولا يفارقني
ولا أفارقه أبدا .

ولقد كان الرجل الجليل يذكر أحاده كلما نحت عينه العلام بينهم
فتشرق عيناه بالدموع ، ويقول ما شبهه بعد الله ! وقد كان أبو طالب
وعند الله كما تقدم - أحوين شقيقين ، ولم يثبت قط أن هذا العم
الكريم نحى طريقة عين عن ابن أخيه أو أخوته بكلمة لا ترصيه من طعونه
إلى أن جهر بدعوته ، ولم يحذف هذا الإجماع من أحوار أبي طالب والى
أحد من المؤرخين حتى أولئك المفسرين الذين حسبوا أن أبا طالب هو
المقصود من جاء في القرآن في سورة الأنعام : « وإن يروا كل آية لا يؤمنوا
بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير
الأولين وهم يهود عه ويأود عه ، وإن يهلكوا إلا أنفسهم
وما يشعرون »

فقد وهم أولئك المفسرون أن أبا طالب كان هو المقصود بهذه
الآيات لأنه كان يسمى عن أذى النبي ولا يدين بدعيه ، ولم يكن
أبو طالب ممن يقول النبي ليجادلوه فيصدق عليه ذلك لتفسير . وأوضح
من خطأ هؤلاء المفسرين ما ظهروا أن أبا طالب مقصود بعد وفاته بقوله
تعالى في سورة القصص « إنك لا تهدي من أحببت » فإن سورة
الأنعام قد نزلت بعد سورة القصص كما جاء في كتاب الإتيان . فلا
هداية ولا حياء ولا هي عن أذى النبي بعد الوفاة

وعلى الحملة تدو ما رعاية أبي طالب لابن أخيه على الرعم من
فريش حلائق رحمة ونحوه ووفاء واعتداد بالحاء والكرمة . وتدو لنا

من سيرته كلها حلائق أخرى من قبيل هذه الحلائق التي تجمع بين النصية والقوة . فإبى يعلم أنه كان منق سبب الأباطح ، وأنه كان يخرج للتجارة آفة بعد أخرى ، وأن أباه عبد المطلب كان على ثراء عظيم وكان سادات بني أمية يمافسونه بالعنى والسجاء فلا يدركونه في هذا ولاداك ، ثم يعلم على كل هذا أن أباه طالب قد بنى صكاً في شبحوخته وأن النبي قد أعاه بكفالة انه على ونريته في داره ، ونعلم كذلك أن النبي لم يكن على حال من الزهر قبل اشتغاله بتجارة السيدة خديجة ومشاركته في ربح أموالها ، فصار ابن عبد المطلب وحفيده إلى حال من انقلا بعد غنى الحدود والأوتل قد يسي عن نصب لأسرة السوية من السدانة ومن مناصب الدين في البيت المعمور ، فأكبر الطن أمه كانت مغرماً بأحد من أموالهم ولم تكن معماً يربحون منه الكثير أو القليل ، ولولا سعة التجارة التي عمل فيها هاشم والمطلب حتى قبل أن أحدهما سن لقريش سنة الرحلتين إلى انشام وايمس - لما وصل إليهما ذلك لثراء المشهور ولا استطاعا الهوص بأبناء الشرف ومناصب الدين .

ولقد مر بنا من نحدة أبي طالب لابن أخيه ماتم به فصيلة النجدة كاملة طه الشيخ الكرم ، ولكها كانت في الحق بجدة تتسع لكل قاصد ومستجير ولو لم تكن حقوق ابن الأخ على عمه ، فقد استجار به أبو سلمة صاحب بني محروم فأجاره وأعلن على ادلاً حواره ، فبنى إبيه رجال من بني محروم فقالوا : ياأبا طالب ما هذا ؟ منعت منا ابن أخيك محمداً فمالك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال : إيه استجار بي وهو ابن اختي ، وإن أنا لم أمنع ابن اختي لم أمنع ابن أخى فغضب أبو لهب في هذه المرة لأخيه الشيخ وثار بهم قائلاً : يا معشر قريش ! والله لقد أكرتم على

هذا الشيخ ماتزالون تتراشون عليه في حوره من بين قومه . والله لتشهد
 عنه أو ليقومن معه في كل مقام فيه حتى يبلغ ما اراد فحشي رعماء
 قريش فمعة انوافق بين الأخوين في المودة والحوار ، وكان أبو ط
 معهم على رسول الله في دعوته . فقالوا بل نصرف عما تكره ياأنا
 عنة ، انصروها واعمين .

وحكى عن هشام بن اسد الكندي عن أبيه في رواية لاشها
 ولائها أن أنا حال ما أحسن الموت ، جمع إليه وحوه قريش فأوصاهم
 فقال يا معشر قريش ا إلى أوصيكم بمحمد حيرا فإنه لأمين في
 قريش والصديق في العرب وهو الخامع لكل ما أوصيكم به . وقد جاء
 بأمر فيه الختان وأنكره لسان محبة الشان وأيم الله كأن أطر إلى
 صغاليكم العرب وأهل البور والأطراف المستعصين من الناس قد أحابوا
 دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاص بهم عمرات الموت فصدرت
 رؤساء قريش وصادبدها أدبا ودورها حروب وصعقاؤها أربانا وإذا
 أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه وأخطاهم عبده ، قد محضته
 العرب وداده وأصمت له فؤادها وأعطته قيادها يا معشر قريش ا
 كونوا له ولاة وخره حماة . والله لا يسلك أحد سببه إلا رشد ، ولا يأخذ
 بهديه إلا سعد ، ولو كان لمسي مدد ولأحلى تأخير لكمفت عنه الهراهر
 وللمعت عنه الدواهي . . .

وهذه البرصة لابشتها القرئها على هذا الإسلوب إلا أن تكون
 لسان حال لا لسان مقال . وإلا أن يكون ما قبل بعض لعظها وبعض
 معنها . ولم يكن كل ما جاء فيها .

العباس وحمزة

وعمان آحزان غير أبي طالب كنت لي شهرة وصلة بالدعوة النبوية
عرفنا بها بعض ما تصفا به من صفات وكمالات . وهما العباس
وحمزة ، وكلاهما اخ لعبد الله غير شقيق .

فالعباس على صعره تولى السقاية بعد أبيه ، وامتاز بين سادات
قريش بالرأى والنداء وطول الأناة . وكان له علم بالأسباب وقدرة على
تأليف الناس ودفع العداوات . مع هبة يحسب لها حسابها حلة قريش
من هاشميين وأمويين . وهو حد يبي العباس ومن حلائقه حلائق أسائه
لكفة الدهاة من كل رئيس مطاع في هذا البيت الفريد بين بيوتات
هاشميين

وحمزة فارس في حلائق الفروسية كنها من شجاعة وصدق وإيمان
ودرارة بالسف واخل قال ابن إسحاق في قصة إسلامه : « فلم يلبث
حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من
نص يرميه ويخرج له . وكان إذا رجع من قصه لم يصل إلى أهله حتى
يطوف بالكعبة . وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف
وسلم وتحدث معهم ، وكان أعرفني في قريش وأشد شكيمة ، فلما مر
بالمولاة - مولاة عبد الله بن جدعان - قالت له : يا أبا عمارة . لو رأيت
ماني ابن أخيك محمد آتيا من أبي لحكم بن هشام ! وجده هاهنا
حائلا فآذاه وسه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد
ﷺ ، فحتمل حمزة لعصب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى
ولم يقف على أحد ، معدا لأبي جهل إذا لقيه أب يوقع به فلما دخل

المسجد نظر إليه حائسا في القوم فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه دفع القوس فصر به بها مشجبه شجرة منكرة ، ثم قال : أتشتبه ؟ فأما على دينه أقول مايقول ، فرد ذلك على أن استطعت فقامت رجال من بني محروم لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل : دعوا أبا عماره . فإني والله قد سببت محمدا ابن أخيه سبا قبيحا

قال القوم : ما نراك يحمزة إلا قد صأنت .

فقال حمزة : وما يبغي وقد امتنان لي منه ذلك . . أنا أشهد أنه رسول الله

ومن أعمام رسول الله غير حمزة والعاس رجلا لم يسلما وهما الربير وعبد العزى أبو لهب ، وكلاهما كان يحنى بالطفل الصغير ويدلله ويواليه بالسؤل عنه ، وكان الربير يرقصه بأصوات الشعر يرجو له طول العمر والسجابة ، ووهب له أبو لهب جاريتة ثوبية ترضعه وتحممه في طفولته ، ولا يعرف من أحوار الربير مايسئ عن صفاته وكفاياته ، وأما أبو لهب المعروف عنه - ولا سيما في علاقته بأبن أخيه بعد الدعوة - غير قليل

كان سو هاشم وسو المطلب جميعا في نصرة النبي من آمن منهم به ومن لم يؤمن ماعد أنا لهب وبنيه ، وفيه نزلت الآيات : « تت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصنن بارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد »

وتعليل هذا الشذوذ أنه من لوازم الأسر الكبيرة التي لاتشد بها أسرة ذات حطر في التاريخ ، فلهذا القياس المطرد مع طوائف الأمور . كان

من علله أنه يدعى بعد العرى تنصص لها ويعصب أن يحسب أحد أمامه
أن عبادتها مرهونة بحياته كما تقدم

وكان من علله أنه الكبير أن يقاد للصغير . ولا ينس أنها أمة
لا تستعرب في عشائر البادية وعشائر الرئاسة منها على التخصيص . ومن
استعربها فيذكر أن العاص وحجرة - عمى الرسون اللذين أسيا كانا
من لدته عليه السلام إلا سوت ثلاثا أو أربعاً تقدم بها لعاص فكان ما
أثرها في تأخير إسلامه سنوات

وكان من علل ذلك الشدود أنه كان على حلف ومشاركة لبيونات
قريش كلها لكثرة ماله وسعة تجارته وأعماله . وقد قال للبي في مجمع
الأسرة : هؤلاء هم عمومناك وسو عمك فكلهم ودع الصباة ، واعلم أنه
ليس تقومك بالعرب قطبة طاقية ، وأنا حق من احذك ، فحسبك سو
أبيك وإن أقت عليه فهو أيسر عليهم من أن يشك بك بطون قريش
وتمدحهم . فما رأيت أحدا جاء على بي أبيه بشر مما حشتم به

وفي مجلس آخر قال له أبو طالب هؤلاء سو أبيك مجتمعون . وإنما
أنا أحدهم . غير أني أسرعهم إلى ما تحب . فامض لما أمرت فوالله
لأزال أحوطك وأمعك غير أن نصبي لا تضارعي على فراق دين
عند المطلب .

قال أبو لهب : هذه والله النسوة اتخذوا على يديه قل أن يأخذ
غيركم . وابعص المجلس على عبط يكطمه أبو لهب وعهد بمرمه أبو
طالب ويقول فيه مقسما : والله لنضعنه مانقينا .

وهذا هو الطوى لدى يربى صاحبه أن يسوقه مساق الحكمة

والحيطة . فبرغم أنه يدفع الشر عن ابن أخيه وعن قومه ويحسبهم مالا
بطيفونه من جهاد العرب . وفيه في ضوئته لبائف أن يقاد ليس هو أصغر
منه . ويحتسب ما يصيبه من حراء بقياده به سدست له كبرياؤه

وليس من اعلل لى نسي في هذا لمقام أنه كان روحا لأخت في
سفين ، وأن ولديه كانا متزوجين لرقية ولم كنثوم كريمة رسول الله ،
وبين بروحتين والروحة بحس لانهما ولا تروا تتحين الفرصة لتوقيعة
والشرقة والعداء

وأنا كان ما كان من أبي لهب فهو الشدود لدى يشرب لا يكون
وليس بالعرب أن يكون !

وأشهر أبناء الأسرة من غير لأعمام بن عمه الحبيب وأمه دثرية
على بن أبي طالب رضوان الله عليه . وصفاته وكهاياته تخذ من كل
سيد من ساداتها بصيب شجاعه وطيبة وفهم وإقبال على المعرفة وإيثار
للمعروف

أسرة لا تحرج البيوة وما حرجت قط من خير مما

وبشاة النبي عليه السلام فيها تصدق لمقدمات التي قد إنها مقدمات
التمهيد والتحصيل .

إلا ما كباثر المقدمات التي مهدت من جانب لتقيم المصاعف كلها
من جانب آخر .

أسره عزيزة لأبناء والأحداد . فحرره بالسب أعظم من كل محرر .
وسيادتها بالحلائق الموروثة نبت من كل سيادة ثم نشأ لها من بينها نبي

سعى على الآباء والأحباء ما كانوا عليه من صلاة ، ويكر من الأساء أن
يسكروا مسلكتهم ويهيموا على آثارهم ، ويقول لهم كما قال إبراهيم .
« لقد كنتم وأناؤكم في ضلال مبين »

ويهيب عن آمن منهم : « يا أيها الذين آمنوا لا تتحدوا آباءكم
وإخوانكم أوباء إن استحبوا لكفر على الإيمان »

ويدعوهم أن يتبعوا ما أمر الله لأن آباءهم لا يعقون . « وإذا قيل
هم اتبعوا ما أنزل الله قلوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أولو كان آباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »

لقد شأ محمد في الأسرة التي تعطيه خير متعطى الأسر منها .

ولكنه جاءها بالنسرة التي لا يعطيها غير الله ا

وكانت الأسرة تمهدا له فيما ورث منها .

ولكم وما ورثت من قومها هي عقبة الأرض التي تمهدا السماء

والدا النبي عبدالله وآمنة

تلك هي الأسرة العامة التي شملت الأحداد والأعمام . وللي صلوات الله عليه . مع هذه الأسرة العامة ، أسرة خاصة من أبويه الشريفين عبدالله وآمنة .

ولم يعقب له التاريخ كثيرا من نساء هديس الأبريس الشريفين . ولكنه أعقب لنا ما فيه الكفاية لبيان أثرهما النفساني في وحدان ولدهما العظيم . ندرت في أبواب العصماء أئمة كأبوة عبدالله بن عبدالمطلب . وبكاد نقول إنها مرت بغير مطير فيها وعييه من تواريخ الأنبياء والهداة من كل قبيل .

ففي م يكذب بنحو من الموت ديبها حتى مات بعدا عن زوجه التي فارقها عروسا وعن ولده الذي لم تره عيناه .

لكأعما وحد هذا الفتى في الدن يعقب درية تريد لها العناية الإلهية . ثم يتركها في كلاءة تلك العناية لقدرة لا تغني فيه عناية الآباء .

وفي تاريخ الأسياء أب عاش حتى شهد بعثة ابنه فأذكرها وتواطأ مع قومه على حذائها . فمقيت ذكراه حبه أمل وحيرة من يحل الدعوى ويحل إبراهيم .

فأما هذه الأنوه فالرحمة فيها تملأ مكان الحبة ، والبر بالدكرى بملأ
مكان الخيرة ويتطعم ورائه إلى الأسى على العقيد والعراء للوليد الوحيد .
وحياة لانشع سحل الحوادث والحطوب . ولكن النفس تشعها بما
يعوضها عن حوادثها وحصولها حيا ساغا وحالاً يقف فيه الحس والخيال

وهذا الذي صغته بديهة الحية الصادقة فلم تدع سيرة عبد الله حتى
أودعته من الخواطر والأمانى ما تزدحم به أعمار طوائف ، لما تمناه له
المخربون على صباه وتقواه ببعض في حواش سيرته حتى تمتلئ به مائة
حيه .

قبل في بعض ما قبل من هذه الخواطر والأمانى « إنه لما انصرف مع
أبيه بعد أن هذه سحر مائة من الإبل برؤيا رآها مرعى امرأة كاهنة
مسيودة قد قرأت في الكتب يقال لها فاطمة فقالت له حين نظرت إلى
وجهه وكان أحسن رجل في قرش - لك مثل الإبل التي بحرت عنك
وأبدل لك نفسي . ما رأيت في وجهه من نور لسوة ورحمت أن تحمل
هذا النبي الكريم ﷺ ، فأحاطها بقوله .

أما الحرام فاللمعات دونه وأخل لا حل فاستنسه
فكيف بالأمر الذي تبعه يحمي الكريم عرصه ودينه

ثم خرج به عند بطل حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة
وهو يومئذ سيد زهرة بسا وشرفا فزوجه ابنته آمنه وهي يومئذ أفضل امرأة
من قرش بسا وموصفا . فحملت برسول الله ﷺ . ثم خرج من
عندها امرأة التي عرست عليه ما عرست فقد لها مالك لا تعرضين
على ليوم ما عرست بالأمس . فقالت فارقت النور الذي كان معك

فيس لي بذلك اليوم حاجة إما ردت أن يكون لوري فاني لله لا
أن يجعله حيث شاء .

وفي أسابيد من هدم أن عبد الله « إما دخل على امرأة كانت له مع
آمة بنت وهب ، وقد عمل في طين له ووه أثر من الطين فدعاها
فأطأت عليه لما رأته من أثر الطين فخرج من عندها فتوصاً وعمل
ما كان به . ثم خرج عائداً إلى آمة ثم امرأته الأولى فدعته فلم يجها
وعند بني آمة فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم امرأته تلك فقالت
له مررت في وبي عينيك غرة ببصاء فدعوتك فأبى .

قال اسحاق بن سار صاحب الخبر فرعموا أن امرأته تلك كانت
تحدث أنه مر بها وبي عيبه عرة مثل عرة الفرس قالت فدعوتها رجاء
أن تكون لي . فاني على ، ودخل على آمة فحملت برسول الله «
وحاء في غير خبر أن فتيات مكة ذهبت من الحسرة لروح عبد الله
من آمة ، وكانت كل فتاة من تمنتاه زوجها لخاله وتحدث الناس
بمدائه

وفي كل هذه الأحبار قسط من الصحة لاهمله ولاسوي بين رواية
السير له وبي حدودها منه ، فإن محيثة في السير يشت لنا معنى صادق
الدلالة وإن يكن غير معناه المقصود يشت لنا لونا من شعور الناس
بصاحب السيرة ولونا من تعبيرهم عن ذلك الشعور . ومن كان هذا
المعنى لونا عنده فخير له أن يتجنب السير والتواريخ

وأما حكم الواقع على حدوث الخبر فحسبنا فيه حكم القرآن الكريم
الذي نطل علم الكهان بالغيب كما ينكره عن أعوانهم من الخان . وفي

سورة سبأ عن سليمان بن دود عليها السلام « فلما قصصنا عليه الموت
مادهم على موته إلا دنة الارض تأكل مسأته فلما حُرّ نيت الحسن أن لو
كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين »

والقرآن الكريم يقول في غير موضع به لا يعلم الغيب إلا الله ، ويقول
ببطلان النبي : ولا أعلم الغيب .

فلا كهن يعلم من أمر الدنيا سرا من أسرار الغيب فضلا عن أمر
اسوة والرسالة ، والكاهنة نبي تريد أن تحمل بنبي لا يحظرها أن تحمل به
سماحا فيقول لها عبد الله

أما الحرام فإثمات دونه والحل لا حل فاستسيه
وأما أن تكون روجة ثم لا يرى من روحها تلك العره قل ذهابها ثم
تأبى معاشرته بعد ذهاب - فليس مما يجوز تصديقه من شئون الرواح
فالقصة كلها ، ومشاهدها من القصص ، رغبة ورهبة وربها جمال
عبد الله وأسمى العوس لما فات ذلك الخيال في عنوان صباه

ولا تكرون لما كان عليه عبد الله من الوصاية والوصاء وعضارة
الشباب سواء حمضت ما السيرة قصة من تلك القصص أو حاءتنا عقلا
مها . فقد حمضت لنا رؤية العيان أنه كان وإخوانه يطوفون بالكعبة مع
أبيهم فيأخذون الأمصار ، ولم يصف الواصفون بني هاشم بدمامة أو
معاينة في الخلق والصورة ، حتى فيها وصفهم به الشائثون وطلاب
لعيوب .

وفيا وصل إلينا من سيرته قصة غير تلك القصص لأقل للمالفة
وحدما بأن تحلقها . لأنها تحتاج إلى افتتان في وصفها وتحتاج مع
الافتتان إلى مصلحة مفروضة تدعو إلى احتلاقها ، أو علة من العمل
المعروفة تفسر لنا ذلك الاحتلاق .

وتلك هي قصة النذر التي أوردناها في الكلام على الكعبة . وهي
تقوم بديوان جامع من القصص للتعريف بحالات عبد الله .

وليس يكفي في معيار النقد التاريخي أن يكون اختراع القصة ممكنا
ليقال بها مخترعة . فإن اتهام كل خبر بالاختراع لأنه يحور أن يخترع
يسقط أخبار التاريخ كله في الزمن القديم وفي الزمن الحديث . وإنما
يظن الاختراع بالحبر المسوع بدعو إلى الشك فيه ولمصلحة توجب اختراعه
وتضطربا اضطرابا إلى نفيه على ثقة أو على ترجيح

وهذه القصة بعينها ينحى قبل نفيها أن يعرف مصلحة المسلم أو
الجاهل في اختراعها وإصاقتها بعد المطلب وعبد الله . فقد قيل إنها
اخترعت لتصوير عبد الله أي النبي في صورة النبي لإسماعيل ، وقيل إنها
لم تظهر في الحاشية قبل البعثة الإسلامية .

فهل من مصلحة مسلم أن يخلق القصة يقول إن جد النبي أوشك
أن يسبح آياه قربانا للأصنام ؟

وهل من مصلحة جاهل أن يدع الافتتان في القصة وفي وسيلة
الخلاص من الفداء ليكر على سدة الكعبة قدرتهم على استحبار أربابها
ويرجع بأفضل في الوسيلة والاستحبار إلى كاهنة خيرية تفق لهم في
شئون عاداتهم وأساتهم حيث يعجزون عن الفتيا وهم مفتقرون إليها ؟

ولم هذا التخصيص بعد المطلب وعند الله ٤ ومن الذي كان عنده من قدره لاقتان في القصص مثل هذه القدره ثم حتى أمره ولم تأت منه أعبوة مثلها في زمانها ؟

وهناك مسوع آخر للطن يندر إلى الدهن إذا كانت هذه القصة لا حدثت لأحد قبل عصر عبد المطلب ثم نقلت إليه ، كما حدث كثيرا في القصص المتكررة نبي تروى عن أناس متفرقين . ولكن هذه القصة بدأتها لم ترد بها الرواية في بلاد العرب أو غيرها عن أحد غير عبد الله . وليست هي مما يوضع في بلاد لم تعهد السهام وضرب القدح والقداء بالإبل ولتقري إلى كعبة تجمع لأصنام من هن إلى سبعة إلى أساف فهاذا اختبرت في بلاد العرب وحسن عبد الله باختراعها عليه ٥

إن لم تكن هناك شبهة من هذه الشبهات ومسوع من هذه المسوعات فقبول القصة أولى من رفضها . وتأليفها عن هذا الاقتان لغير قصد معلوم أصعب في وقوعها ، وقد تساق في معرض ترحيحها وتداولها إلى منتصف القرن الأول للهجرة رواية سطرى يقول فيها بعد صد متصل « أن ابن عباس سأته امرأة إياها بدرت دبح ولدها عبد الكعبة فأمرها بدبح مائة من الإبل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب . وسألت عبد الله بن عمر فم يفتها بشيء بل توقف . فبيع ذلك مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة فقال لهما لم يصيب الفتية . ثم أمر المرأة أن تعمل ما استطاعت من حير وسهاها عن دبح ولدها ولم تأمرها بدبح الإبل . وأخذه الناس بقول مروان »

والحق بين رفض القصة وقبولها أنه لا موجب لرفضها وليس في قبولها

ما يخاف مألوه من مألوفات رماها . وقد كان بدر عند المطلب صلياً عريراً
من الإله يدب به هديته . وكان الوفاء من فصائه الماثورة وكان مع
لواء بالندر يمدن سرء العقى وحذر من أن يصيب اخراء أئمه
جميعاً . فليس في هد الوء حليقة تحلو لإها فوق طاقة الإنسان

ومن رنصى قصة الندر هده فقصيب عدا الله عده أعظم من
قصيب أبيه . لأنه سلم حياته هدية لإخوته ولم ينكص عن طاعة أب
وطاعة رب . ومن يعمل ذلك يسيئ عن يمان قوى بالوحد وقد م على
لموت في ريعاب الشب . وقد كان له أن يتحمل البعادر فلا تعود
الحيلة . فكأن من رحل لا يكر الدير ولا يبرق منه . إذا ساهم الدير ما يعر
عليه لم تتعدر عليه الحجة للتحمل من فرائضه ولا حزاء على أوامره
ونواهيه

على أن الملاحظة التي نستوقف من أمر هذه الأسرة القوية الماركة أن
أحارها المنائرة التي ترسل أرسلات في المناسبات المتفرقة أدل عليها من
الأخبار التي تتظم في مناسبة واحدة وتحتل مطنة الوضع والتأليف .
ومها تتأثر الأخبار عن 'حواص' والهدية تخلص ب إلى حصة
ملحوظة في جميع هذه الأحار وهي « النظام » الذي نتوحاه في
معاملاتها وعلاقات أفرادها على البديهة بغير تدبير مقصود

من هاكمة ومن هاك خبر ومن جواب شتى أحاديث وروايات
وكلها يوضع هذا الطابع بغير شذوذ حتى حين ينتظر الشذوذ
ولا يستعرب . فأو هب هسه وهو الخارج على جماع الأسرة -
يأتي في مجلس قريش أن يسام أخوه الكبير - أبو طالب - ما لم يتعوده

من الطاعة والتوقير ، ومحضر محسن الأسرة فلا يزيد على كلمة يقولها حين
يسمع من أخيه أنه ينصر محمداً ولا يستمع فيه للامة بعيد وقريب ، ثم
ينصرف من المجلس وهو كظيم .

أما في سائر محامع الأسرة فالطاعة والتوقير سنة لا يحالها صغار
الأسرة في محاسن كبارها ، فإذا جلس عميدها جلسوا وراءه وصمتوا في
حضرته لا يبدؤون بالكلام إلا أن بدعوهم إليه ومن هنا عجبهم أن
يقبل العلامة اليتيم إلى مجلس حده فيقصد إليه ويجلس إلى جواره ، وهم
مع علمهم بإشفاق الحد عليه وتدليله إياه يستدعونه إليهم ليجلس معهم
حتى يأمرهم الحد فيسكتوا عنه وهم لا يقلون إشفاقا عليه

ومن نظام الأسرة أن عبد الله حرح بعد رواجه مع أول طاعة حان
موعدها ولم يتخفف عامه ذاك إلى عام قابل ، وهو يفرغ من عرسه الذي
كان خليقا أن يعطيه تنهف أبيه وآله على حياته بعد اليأس منه في قصة
النذر المشهور ، فخرج مع القافلة ولما بنقص على رفاهه أسبوعان على
أرحح الأقوال .

ولاشيء أشبه بالواقع المطور في قصة زواج عبد الله بعد الوفاء بندره
واستقاء حياته ، فإن أمه - لا جرم - قد امتلأت بنفسه زما بشيخ
الموت يطيف بولده الحبيب إليه ، عيسى أقرب إلى خاطره من تعريض
ذلك انشعور الحائم على صدره بالاطمئنان على بقاء فتاه والعبطة بدوامه
ودوام دريته من بعده ، ولا سيما الدوام بعد النذر الذي كان معته تعبير
الشائنين بقلة الذرية وانتاش الأب خوفا من انقطاع العقب مع ولد
وحيد .

وختار الأب روجة عبد الله من بني زهرة اخلاف بني هاشم والمطلب في كل خلاف . روجه آمنة بنت وهب أعرق بني زهرة سبب وأكرمها مختاراً ومدته العشيرة كلها في محامع قريش ، وينتهي بسبه لآبيه وأمه إلى عبد مناف ، وقد فحر رسول الله بأشسابه إلى هذه الأمومة فقال : « أنا ابن العواتك من سليم »

روى الإمام أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة بعد إسناد متصل : « أن عبد المطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء فنزل على حجر من اليهود قال فقال لي رجل من أهل الديور - يعني أهل الكتاب - يا عبد المطلب ! أتأذن لي أن أنظر إلى عصك ؟ قال نعم إذا لم يكن عورة . قال : ففتح إحدى مخزى فطر فيه ثم نظر في الآخر فقال : أشهد أن في إحدى يديك ملكاً وفي الأخرى سوء . وأنا بعد ذلك في بني زهرة فكيف ذلك ؟ قلت لا أدري ! قال هل لك من شاة ؟ قلت وما الشاة ؟ قال اروحة ! قلت أما اليوم فلا قال إذا رجعت فتزوج فيهم فراجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن مناف بن زهرة فولدت حمزة وصفيه ، ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت رسول الله . فقالت قريش حين تزوج عبد الله بأمه فلج - أي فار - وغلب عبد الله على أبيه » .

وهذا مثل من الأحبار التي لا تثبت على المطر وتبنى على حقيقة ثابتة وهي اتصال السب بين آل عبد المطلب وآل وهب ، واتصال اليمن في الحياة الروحية لما كان من الاتصال بينهما في الحياة العامة ، ولم يأت هذا الاتصال لقديم نبوة من ناسك في اليمن تتكشف من النظر في صحرين .

انتقل عبد الله بعروسته من حى وهب إلى حى عبد المطلب بعد أيام
العرس ، فلم يطل فيه البقاء إلا ريثما أدن مؤدد القافلة بالرحيل .

ولم يعد من رحله ثلث إلى داره فإنها كانت الرحلة الأخيرة لكل
راحل أو قاعدى هذه الحدة . رحلة من طاهر لأرض إلى خوف
الصريح

وولد النبى عليه السلام بعد موت أبيه عيسى أشهر الروايات .
فأرضعته أمه وأرضعته معها ثوية حارية عمه أبى هب ، ثم عهد به إلى
حليمة بنت دؤبث تستم رضاعه فى بادية قومها بنى سعد على سنة العلية
من أشرف مكة ، يستغون لشاة السليمة رائحة الصحيحة بعيدا من
أحلاط مكة وأهوائها . وم يكن الطفل اليتيم على يسار لأن أباه مات فى
مقتل الشباب ، ولكن أسرة أبيه وأسرة أمه تكفلتا بشأته كما يشأ أثناء
السراة من فريش . فأحدثه المصعة بعد تردد . ثم عادته إلى مكة قبل
أن يبلغ الثالثة ، لأنها سمعت من أبها أن أخاه القرشى قد صرع وهو
معه ، وأن رحيل أخداه فإذا هما يشقان بطنه ولا يزالان بسوطيه . فلما
دهست إليه حيث تركه أبها وجدته فأثما تمتنع الوحه . فبادرت به إلى
مكة مخافة عيه ، وظلت إليها أمه أن تعود به إلى البادية تحشى على
الطفل من هواء البعد ولا تحشى عليه من ذلك الخطر الذى حشيت
المصع الرؤوم . بعدما سمعته من أبها ورثته من امتقاع لون الوليد القرشى
وقيامه ممردا فى الحلاء . فلما عادت به إلى البادية أتم رضاعه فيها ولبث
معه إلى الخامسة أو قبلها بقليل . وتكلم وحرى لساه بالعربية الفصحى
وهو بنى بنى سعد . فذاك فخره بعد السوة إذ يعجب لصحابة من

فصاحته فلا يرى عليه السلام عجا في فصاحة عربي شأ في بني سعد
وترى في الدواة من قریش

• • •

ولم يكده لصبي يطمش إلى حوار أمه بعد عودته من النادية حتى
فقدتها وهما في زيارة لغير أبيه بالمدينة

وما كان قد بقى في الدنيا لفتاة الایم غیر هذا الصبي وذكرى أبيه
الراحل في غربتين : غربة الموت وغربة المكان .

مخرجت به صبيًا تزور الفقيد الراحل في مثواه ونحسبه مشوقًا تحت
طابق الأرض إلى رؤية الوليد الذي لم تنصره عيناه تحت شمس النهار .
وكذلك تزيّر الوليد الیتیم أباه .

فلما قضت حق الريارة ولشت في حيرة أحوال عبد الله شهرا أو بعض
شهر ، قفلت بوليدها راححة إلى مكان ، فماتت ودفنت في الطريق
وكل ما وعته السيرة من مرصها أنها وعك من لفحة السموم فلم
تطل بها الوعكة غير أيام .

• • •

ومن اليسير أن نعلم وقع هذه المفاجعة في نفس الصبي الیتیم .
يتجدد له مصابه في أبيه فلا يكاد يرح ضريحه حتى يقف على صريح أمه
مهجورا في عرض الطريق .

إلا أن هذه المفاجعة بما تدل عليه أهم في دراستنا هذه مما خلقت في
نفس الصبي الصغير .

مصابه في أبيه ومصابه في أمه ، ولم ير صبا صغيرا حين أُنطق
عليها مصابه في جده الذي ضمه إليه بعد فقد أبيه

لو نفس صغيرة تتابع عليها هذه الصربات في صباها لسحقها
واسترقت كل ما حوته من عطف وأمل ، فلا تعيش أن عاشت
بصرباتها - إلا كما يعيش الأشباح في ظلمات الحياة .

عاد وحسب لنا وقفة عند هذه الصربات التي تلقاها الصبي فأوب
ماهف لديه وأولاه بالوقوف انطويل إنها دلالة على لقوه في مكها وعلى
الروح العظيم الذي تحلى بعد ذلك في تاريخ بني الإنسان . كهذا لأعظم
الأعباء وأفدح الخطوب

وتن ذلك وفقتنا أمام العطف الذي أفادته تلك النفس القوية من
صربات تسحق مادونها وتعرف منها كل عطف وأمل

وقد حرج الصبي من تلك الصربات القاصمة بالعاطفة الراحرة التي
تشمل لعابى عالم الحياة وما بعد الحياة ، مد كان أحب لناس إليه في
عالم آخر لا تندية له هذه الحياة ، وجاءت بعثته إلى الناس كافة بسم الله
الرحمن الرحيم

ولعمه أوب فتح أطل عليه من فتوح عالم لغيب فاستمد منه بعد ذلك
قوته لتى دان لها هذا العالم المشهود .

دباه بعد ذلك توسع من دنيا الناس وأعم من دنيا لأحياء .
وحاحر الموت عمده بررح تتصل به لذي والآخره ويعيش فيه لحي
واميت . ولا يتنقل فيه الخلق في ديبهم يهلكوا آخر الدهر بل يعيشوا
آخر الدهر خالدين .

وقليل في جب هذا فائدة العطف لدى عهدناه من صباه إلى حتام
حياته يحيط به كل إنسان وكل حي وكل شيء . وما يترجم عنه عظمه
على خاصته وعلى مرضعته وعلى كل باق من بقايا أمه وأبيه ، ولم يرل
يترجم عنه عظمه الذي لم يحرمه أحد قط من صاحب أو صديق

□ □ □

ولابدع الكلام على لأسرة النبوة وفي الخاطر سؤال توحى إليه أن
سأله وأن نحيب عنه ما أستطيع الجواب

لقد مات عبد الله وآمنة وما يحاورا الخامسة والعشرين . ولا يكون
الموت في هذه السن إلا علامة على انصعاف واضرار ، إن لم يكن من
مرض يشهد الأجل في عنفوان الشباب .

فهل كان محمد عليه السلام سليل أبوس ضعيمين هزيلين ؟

إن لم تكن غرابة الالتقاء بين الأبوس على هذا الصعف كافية لدفع
هذا الظن فلا حاجة إلى دافع له غير حياة الوليد بما استوفته من قوة
الروح وقوة الحماة

وقد سأل أناس من كتاب الغرب هذا السؤال وحيل إليهم إهم
وحدو جوابه في قصة الصرع المزعوم قبل القطام ونما كان يعروه من
يرحاء لوحي التي وصفها الأقربون معه ، ويسرها أنه كان عليه السلام
يرعد ويضطرب ويتقاطر منه في اليوم الثاني عرف كحجب الحماة .

وعجيب أن يصاب الإنسان بصرع لايعروه غير مرة واحدة في سن
الرضاع ، ثم لايعاوده مرة أخرى إلى قرابة الأربعين .

وأنعجب منه أن يصاب به بعد الأربعين في حال واحدة حين يتلقى
الوحي ، ثم لا يصاب به مرة في غير تلك الحال .

ولكنه ليس بالعجيب أن تحيى نية لحم والده من أعناقها في
عاشية الوحي كأننا ما كان قوم البدن الذي نعيشه

ولا نعلم أن أحداً من الأسياء وصف بما كنا وصف محمد عليه
السلام في كل شدة من سخاه وفي كل حركة من حركاته ، وفي يقظته
ورقاده ، وفي حديثه وصمته ، وفي جلوسه ومسيره . وفي ركوبه
وارتخاله ، فم نكر له صفة قط في كل أولئك غير صفة السية السوية
والخلق لقويم .

كان باتفاق جميع واصفيه فوق الأربعين بعيد ما بين المسكين ، عزيز
الشعر تلمس حمته شحمة أديه . شئ لكهن والقديس صحم
الكرديس - أي ملتقى العظام . وم يكن باطهم ولا مانعكم . أدعج
العين أهدب الأشعار ، إذا شئ تنفع كأنما يصعد من صب . دربع
الخطوة سائل الأطراف^(١) .

والنصق أين عن حالات الصرع من سائر الصفات ، وما وصف
منطق السبي بشيء يم على اضطراب في عصب أو في عصل أو يسى عن
عرض من الأعراض غير سديم أو قويم . كان صليح لهم . بيكلم بكلام
بين فصل مفسر ، إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب فلها ، وإذا
تحدث اتصل بها أي صحب كلامه بما يوافق من حركتها وإذا
(١) المطهم لمتصح الوجه والمكتم المدرر . والأهدب طويل أهدب العين مع

اضطراب

غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غص طرفه . جل ضحكه التسم ،
ليس بصخب ولا يرتفع له صوت في غير دعاء .

وهذه صفات كلامه من أكثر من عشرين مصدراً جمعها أبو عيسى
الترمذى صاحب الشئائل المحمدية ، ولم يأت بين ثناياها مسأغ اشتباه في
عرض من أعراض خلل الصرع والاضطراب ، بل هى كلها تأكيد
للمنطق السليم والخلق القويم .

• • •

الله اعلم حيث يجعل رسالته .

وقد جعلت رسالة محمد حيث ينبغى أن نكون - خلقا وخلقاً - من
ميراث الزمن وميراث الأجداد والآباء ، فكل خلق وصف به فهو
الصالح لأداء رسالته والنهوض بأمانته . إن تكن ضريبة من ضرائب
العظمة الكبرى - ولا بد لها من ضريبة - فتلك هى النقص فى نسله
ليستوفى التمام من أمر هذه الذرية الباقية إلى يومنا ، ويعد يومنا ، جامعة
واعية لكل تابع من تابعيه ، وكل مولود له فى عالم الضمير من بنيه وغير
بنيه .

وإنه لعل خلق عظيم .

وإنه لعل خلق قويم .

نتيجة النتائج

ونتيجة النتائج من مقدماتها جميعا أن حوادث الدنيا وحوادث الجزيرة وحوادث الأسرة ، قد مهدت سبلا شتى للرسالة المحمدية ، ولكنها مهدتها لتأتي الرسالة بعدها فتثور عليها وتنكث غزوها ، وتعيدها على العالم الإنساني في نسج جديد .
يتم في غير ذلة .

عزيز في غير قسوة .

يرث الكعبة ولكنه يهدم أربابها ، ويرث الأريحية من يقين بني هاشم ولكنه يغير مجراها ، ويرث العصبية في أقواها وأمنعها ولكنه يقودها إلى عصبية واحدة نضم إليها العرب والعجم ، وتؤمن برب واحد هو رب العالمين .

وجائز أن يكون صاحب الرسالة قد عرف في صباه كل دين من أديان الجزيرة العربية ، ولكنه ليس بالجائز أن تعلمه كيف ينكر أخطأها ويقوم التواءها ويرتقي بها من أوشاب الشرك إلى صفاء التوحيد .
مهدت له الدنيا طريقا ولكنه هداها إلى غير تلك الطريق .

فها تمهيدان . يتلاقيان ويفترقان : تمهيد من قوانين الكون وتمهيد من العناية الأزلية ، وحيث ينهض رجل واحد بما يأباه قومه ويأباه معهم أقوام زمانه ، قلبست هي بإرادة إنسان ولكنها إرادة الله ، وما هي بقدره أحد أو آحاد ولكنها قدرة الخالق فيما خلق ، يولها من يشاء حيث شاء .

فهرس

صفحة	
٣	مقدمة المقدمات
٧	الطوالع والنبوءات
٣٣	الاحوال العالمية قبل الدعوة المحمدية
٤١	الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية
٨٢	النبوة المحمدية
٩٩	سيد الانبياء
١٢٠	دين الانسانية
١٣٠	الكعبة
١٤٠	أسرة النبي
١٦٣	والدا النبي عبد الله وآمنة
١٧٨	نتيجة النتائج

رقم الإيداع : ٨٠/٣٩٥٦
الترقيم الدولي : ٣ - ٢١٢ - ٢٨٦ - ٩٧٧ ISBN

طبعة أولية